مجلة جامعة الملك سعود، م١٩، الآداب (١)، ص ص١١٧ – ١٧٦ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)

العناصر البشرية غير العربية في مكة قبل الإسلام وأدوارها الدينية والاقتصادية والاجتماعية

حمد محمد بن صراي

أستاذ التاريخ القديم المشارك، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات

(قدم للنشر في ١٤٢٦/٤/٢١هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٦/١٠/١٢هـ)

ملخص البحث. على الرغم من غلبة العنصر العربي على سكان مكة إلا أنه كان يوجد فيها أعداد من الأجانب الوافدين إليها من الخارج. ولكون مكة كانت تعتبر من أكثر مدن شبه الجزيرة العربية نشاطاً في النواحي الدينية والاقتصادية خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وأصبحت مكان جذب للآخرين الذين قدموا إليها لأهداف مختلفة. ويوجد ضمن أولئك أعداد كبيرة من العبيد من البيض والسود جُلبوا من بلدان شتى كالعراق والشام واليمن والحبشة. كما قدم إلى مكة أجانب لأهداف سياسية ودينية وتجارية.

وقد اختلفت مهام هؤلاء الأجانب وبالذات العبيد منهم اللذين عملوا في عدد من المهن التجارية والزراعية والحرف الصناعية والخدمية. ووجد من هؤلاء الأجانب عدد كبير من الإماء والجواري كن خادمات في بيوت السادة القرشيين، وكن مغنيات لهن شهرة في المجتمع المكي، ومارس عدد منهن البغاء، وعرفن بأصحاب الرايات الحمر. كما تسرّى السادة بالإماء، وانتسب عدد من أبنائهم إليهن.

ووفد إلى مكة مجموعات من أتباع الديانة اليهودية إما بهدف التجارة أو بهدف البحث عن النبي الخاتم. كما كان ضمن الأجانب أعداد كبيرة من النصارى من العبيد وغيرهم، وكان هؤلاء أكثر عدداً من اليهود الوافدين. ولكن هؤلاء النصارى لم يكونوا يشكلون تهديداً دينياً على المجتمع المكي الوثني لأنهم لم يكونوا دعاة لدينهم، كما تجنّبوا مهاجمة العقيدة الوثنية رغبة منهم في العيش بسلام في مكة.

مكة في القرن السادس الميلادي

لقد تحولت مكة في نهاية القرن السادس الميلادي إلى مستودع ضخم لمنتوجات الهند والصين وشرقي إفريقيا والعراق والشام وشبه الجزيرة العربية، حتى أصبحت مركزاً تجارياً ومالياً كبيراً. وقد أدت الصراعات بين الفرس والبيزنطيين إلى اضطراب التجارة العالمية البرية في العراق والشام، وفي الوقت نفسه ازدادت الأهمية التجارية لمكة وأضحت ممراً للقوافل التجارية بين اليمن والشام.[١] وكانت مكة داراً واسعة للتجارات وداراً للحج والعبادة، وكان أهلها في تواصل مستمر مع العالم الخارجي.[٢] وكما وصفها أحدهم بأن المجتمع المكي مجتمع مفتوح

(١) أحمد إبراهيم الشريف، *دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة*، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٤؛ علي محمد معطي، *تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام*، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٠٩، ٢١٠؛ فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام*، دمشق، ١٩٩٧، ص ٤٣؛ فكتور سحّاب، إيلاف قريش، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٥٠-١٥١؛ نبيه عاقل، *تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي*، دمشق، ١٩٩١/١٩٩٢، ص ٢١٥، ٢١٦؛ Ibrahim, M., "Social and Economic Conditions in Pre-Islamic Mecca", IJMES, 1 14/3 (Aug. 1982), pp. 347-384.

(٢) خليل عبد الكريم، *قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية*، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٨٤؛ دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، عمان، ١٩٩٠، ص ٢٠١؛ محمد جميل بيهم، *فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم*، بيروت، ب.ت.، ص ٧٠؛ ناصر بن سعيد الرشيد، "تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي"، في كتاب: =

متنوع الثقافات والديانات والأعراق.[٣] وذكر أن قريشا كانت تسمى في الجاهلية العالمية لفضلهم وعلمهم، وقد قال في ذلك الشاعر الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

ألسنا أهل مكة عالميا أدركنا السلام بها رطابا.[٤]

ويبدو أن لقب العالمية يشير إلى ما كانت تمثله مكة من مكان جذب ديني واقتصادي واجتماعي.

وكان ملك فارس يجهز كل عام قافلة تجارية يرسلها إلى سوق عكاظ قرب الطائف، وكذلك كانت تأتى قوافل أخرى من بلاد الروم والحبشة وغيرها، فضلا عن الأفراد. وترتب على ذلك حدوث فوائد متبادلة لم تكن تقتصر على العرب وحدهم.[٥]

وقد أدرك زعماء قريش مكانة بلادهم وأهمية دورها، فلم ينخرطوا في الصراعات التي كانت تقوم بين القبائل العربية، ولم ينخرطوا في أي صراع كان يقوم بين المعسكرين الكبيرين: البيزنطي والفارسي. وانطلاقاً من هذه السياسة انفتحت على رحاب شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجي.[٦] ولذلك وصفت مكة بأنها كانت لقاحاً، واللقاح الذي

= *دراسات في تاريخ الجزيرة العربية: الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام*، الرياض، ١٩٨٤، ص ٢٢١، ٢٢٢؛ Trimingham, J., *Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times*, London, 1979, p. 260.

(٣) Peters, F. E., "Introduction", in Peters, F. E. (ed.), *The Arabs and Arabia on the Eve of Islam*, Aldershot, 1999, p. xxxiii.

(٤) أبو هلال العسكري، *كتاب الأوائل*، تحقيق: محمد السيد الوكيل، المدينة، ١٩٦٦، ص ٥١.

(٥) علي محمد معطي، *تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام*، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٦) أحمد إبراهيم الشريف، *دور الحجاز في الحياة السياسية العامة*، ص ١٥، ٢٨؛ علي محمد معطي، *تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام*، ص ص ٢٠٦، ٢٠٧؛ فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش*، ص ص ٤٣؛ ناصر بن سعيد الرشيد، *تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي*، ص ٢٢٢.

ليس فيه سلطان ملك.[٧] وكما وصف الطبري قريشاً بقوله: وكانت قريش قوماً تجاراً.[٨] وقال غيره: كانت قريش تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يبيعونها بينهم وعلى من حولهم من العرب حتى قام بنو عبد مناف هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل بعقد الإيلاف مع الشام واليمن والحبشة وفارس، فاتسعت تجارة قريشٍ في الجاهلية وكثرت أموالها.[٩] ولكثرة الحركة التجارية في مكة قيل: بأن قريشاً سميت بهذا الاسم لأنهم كانوا يتقرشون البضاعات فيشترونها.[١٠] وقيل عن قريشٍ: أنها تعز الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم، وكانت العرب تفعل ذلك ولقريشٍ فيه تقدّم.[١١] وذكر بأن قريشاً تركت الغزو كراهة للسبي، ولم تبقَ لهم مكسبة سوى التجارة فضربوا في البلاد إلى قيصر بالروم وإلى النجاشي بالحبشة وإلى المقوقس بمصر وصاروا تجاراً خلطاء.[١٢] وقيل عنهم: لله در الديار لقريش التجار.[١٣]

(٧) المبرد، *الكامل في الأدب*، تحقيق: عبدا لحميد هنداوي، بيروت، ١٩٩٩، مج. ٣، ص.٢٠٧.

(٨) الطبري، *التاريخ*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيرو ت، ب.ت.، ج. ٢، ص ٢٨٠.

(٩) أبو علي القالي، *كتاب ذيل الأمالي والنوادر*، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٩٩٠ -٢٠٠. انظر كذلك: ابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، عَمان، ١٩٨٢، ج. ١، ص ٣٢٨؛ حسين مؤنس، *تاريخ قريش*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص.١١٥-١٣٠؛ فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش*، ص ٤٣، ٤٤ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٥٥، ج. ١٦٠، ص ٣٢، ٣٣.

(١٠) النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٦، ص ١٦.

(١١) المبرد، *الكامل في الأدب*، مج. ٣، ص ٢٠٧.

(١٢) الجاحظ، *الرسائل (الرسالة ١٧ : في الأوطان والبلدان)*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، ٢٠٠٠، ج. ٤، ص.٩٤.

(١٣) الجاحظ، *الرسائل (الرسالة ٢٦ : في مدح التجارة وذم عمل السلطان)*، ج. ٤، ص ١٩٧.

الأجانب في مكة

وتعددت جنسيات وصفات ومصادر الأجانب في مكة فيحتمل منهم أفراداً من المصريين والعراقيين والأحباش والفرس والأنباط، أحرارا وأرقاء. وأدرك العرب الوجود المتميز لهؤلاء الأعاجم وذكروهم في أشعارهم وقصصهم.(١٤) ومن الملاحظ أن من أسباب وجود الأجانب في مكة حسن العلاقات بين مكة والشام ومصر وفارس والعراق والحبشة. وكانت قريش على علاقة وثيقة مع الشام ومحتليها من البيزنطيين الذين كانوا حريصين على هذه العلاقة مع مكة. وتمكّن المكيون من إقامة علاقات حسنة مع القادة البيزنطيين وفي مقدمتهم قيصر بيزنطة. وكان القرشيون يعرفون أرض الشام جيداً ويتحركون فيها آمنين. وكانت لهم مراكز بين مكة والشام يقيمون فيها، وهي عبارة عن بيوت معلومة وهي الخانات التي في الطرق.(١٥) ولا شك فإن هذه الصلات جلبت للمكيين مكاسب مادية كبيرة، وفي الوقت نفسه فتحت للبيزنطيين مجالاً للوصول إلى مكة عن طريق أفرادهم من التجار والعبيد.

---

(١٤) السيّد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ٩١ -٩٢، ١٥٧، شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*، القاهرة، ٢٠٠١، ص.٥١؛ فاروق أحمد اسليم، *الانتماء في الشعر الجاهلي*، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٨٦، ١٨٧؛ المؤلف نفسه، *شعر قريش*، ص٤٣؛ محمد عزة دروزة، *عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة*، بيروت، ص ١٦٧-١٦٨؛ Crone, P., *Meccan Trade and the Rise of Islam*, Oxford, 1987, pp. 80, 106; Dostal, W., "Social Organization of Mecca", SJA, p. 337.

(١٥) الألوسي، *روح المعاني*، قراءة وتصحيح: محمد حسين العرب، بيروت، ١٩٩٧، مج. ١٠، ص ٢٠٢؛ ناصر بن سعيد الرشيد، *تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي*، ص ٢٢٥-٢٢٦.

وأما الحبشة فكانت كما قال أبو الفرج الأصفهاني: "وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً."[١٦] وكانت سفن الأحباش ترسو على موانئ الساحل الشرقي للبحر الأحمر محملة ببضائع وسلع الحبشة المختلفة.[١٧] كما كانت مكة على صلات بمصر ، وقام عدد من المكيين بالمتاجرة في مصر.[١٨] ولم تكن فارس والعراق مجهولة بالنسبة لأهالي مكة الذين كانوا يتواصلون معها بهدف التجارة. ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب الذي كان يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم. كما قام هو بنفسه بزيارة فارس ، والالتقاء بكسرى.[١٩]

والمرجح أن أكثر الأجانب المقيمين في مكة هم من النصارى الروم والسريان السوريين والأحباش. ويحتمل أن بعضهم جاؤا إلى مكة إما بتشجيع من بعض تجار قريش وإما بسبب اضطهاد وقع عليهم ، فلقوا في مكة ومن زعمائها ترحيباً وتشجيعاً.[٢٠] وكان القرشيون يأخذون إتاوة من التجار الأجانب إذا قدموا إلى مكة.[٢١]

---

(١٦) *كتاب الأغاني*، ج. ٩ ، ص ٤٠.

(١٧) ناصر بن سعيد الرشيد ، *تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي*، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(١٨) *تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي*، ص ٢٢٧.

(١٩) ابن عبد ربّه ، *العقد الفريد* ، تحقيق: مفيد محمد قمحه ، (دار الكتب العلمية) ، بيروت ، ب.ت. ، ج. ١ ، ص ٢٨٨ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، *كتاب الأغاني* ، ج. ٦ ، ص ٥٢٢.

(٢٠) السيّد أحمد أبو الفضل عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨١ ، ص ٩١ ، ١٦٠ ؛ محمد عزة دروزة ، *عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته قبل البعثة* ، ص ١٦٦ ؛ Trimingham J.S., op.cit., p. 260

(٢١) الضياء المكي ، *تاريخ مكة المشرفة والمدينة والقبر الشريف* ، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٩٦ ؛ شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي*، ص.٥٠.

وكان لتنظيم العلاقات الخارجية بين مكة والقبائل العربية والدول المجاورة اثر كبير على تطور الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية في الحجاز والبادية. ونتيجة لهذه العملية نشطت التجارة الداخلية والخارجية. وكان في مكة وكذلك في اليمن تجار أجانب ساكنوا المكيين وتحالفوا مع أثريائهم، أقاموا فيها ودفعوا مقابل ذلك ضريبة مالية لحمايتهم وحفظ أموالهم. ومن هؤلاء الأجانب من كان يتعامل مع أمثالهم من المقيمين في عدن التي كانت السفن ترد إليها من مختلف جهات المحيط الهندي، وكان يصل إليها تجار من الروم والفرس بسفنهم ليشتروا ما يجدونه من بضائع وسلع أو ليتزودوا بالماء والطعام.(٢٢)

وربما كان من بين تجار الروم في مكة من كان عينا للبيزنطيين على العرب يتجسس لهم ويكتب عن صلات الفرس مع العرب. وعن أخبار الفرس في شبه الجزيرة العربية وصلاتهم واتصالاتهم بالقبائل العربية. وكان البيزنطيون يرغبون في إفساد الخطط الفارسية، وإبعادهم عن بلاد العرب وبحارها.(٢٣) كما أن مسألة التبشير بالنصرانية كانت مسالة مهمة عند الدولة البيزنطية لذا فإنها ترسل إلى داخل شبه الجزيرة العربية ومدنها الرئيسة من يهتم بهذه المسألة.(٢٤)

---

(٢٢) أحمد إبراهيم الشريف، *دور الحجاز في الحياة السياسية العامة*، ص ٤٦؛ جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، ١٩٩٣، ج. ٤، ص ص ١١٥، ١١٦؛ علي محمد معطي، *تاريخ العرب الاقتصاري قبل الإسلام*، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢٣) جواد علي، *المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤ ، ص ص ١١٦؛ فاروق أحمد السليم، *شعر قريش*، ص ٤٣.

(٢٤) دي لاسي أوليري، *جزيرة العرب قبل البعثة*، ص.١٥٧، فكتور سحّاب، *إيلاف قريش*، ص ١٥١.

ووُجد في مكة العديد من الموالي غير العرب، وهم في الغالب قدموا إلى مكة على هيئة عبيد ثم قدّموا خدمات جليلة لسادتهم فاعتقوهم إكراماً لهم. ويمكن لهذا المولى أن يمارس التجارة ثم تتطور به الأحوال ليصبح حليفاً لسيده السابق.(٢٥)

وتشير عدد من الروايات إلى وجود أجانب معينين منها ما يروى أن امرأة جمرت الكعبة بالبخور، فطارت شرارة من جمرها في ثياب الكعبة فأحرقت أخشابها، ودخل سيل عظيم وصدع جدرانها، فأراد القرشيون أن يشيدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها أحد إلا من قريش. وأخذوا يبحثون عن موارد للبناء. فإذا بالبحر يرمي بسفينة إلى ساحل جدة، وهذه السفينة كانت لتاجر رومي اسمه باقوم، وكان نجاراً بنّاءً، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى جدة فابتاعوا من باقوم خشب السفينة وكلموه أن يقدم معهم إلى مكة ليساعدهم في البناء فقدموا إليها، وأخذوا أخشاب السفينة وأعدّوها لسقف الكعبة.(٢٦) وذُكر أن هذه السفينة كانت قادمة من مصر.[٢٧] وأنها كانت محملة

---

(٢٥) السيّد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٥٥، ١٥٦؛ Dostal ,W., "Mecca before the Time of the Prophet – Attempt of an Anthropological I", in Peters , F.E. (ed), "Interpretation", op.cit ،.p.211; Ibrahim, M., op.cit ،. p.346.

(٢٦) ابن سعد، *كتاب الطبقات الكبير*، تحقيق: علي محمد عمر ، القاهرة، ٢٠٠٠، ج. ١، ص ١٢٠، ابن الضياء المكي، *تاريخ مكة المشرفة والمدينة والقبر الشريف*، ١٩٩٧م، ، ص ٩٦، الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح، بيروت، ١٩٩٦، ج. ١، ص.١٥٧؛ برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية (*إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون*) ،(دار المعرفة)، بيروت، ب.ت.، ج. ١، ص ٢٣٥؛ الذهبي، *السيرة النبوية من تاريخ الإسلام*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٩٤، ص.٧١- ٧٢؛ النهرواني، *كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام*، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، مكة المكرمة، ١٩٩٦، ص ٨٢-٨٣؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٦، ص ص ٩٩، ١٠٠. انظر كذلك: ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، ١٩٩٨، ج. ١، ص ٢٣٩؛ اليعقوبي، =

بالأخشاب.[٢٨] وقيل: إن هذه السفينة كان فيها عدد من الروم وعلى رأسهم باقوم، وكان بانياً.[٢٩] وقيل: إنه كان نصرانياً.[٣٠] وقيل: إن هذه السفينة لقيصر ملك الروم، كان يحمل فيها الخشب والرخام والحديد مع باقوم إلى الكنيسة التي احترقت في الحبشة أو اليمن فلما بلغت ساحل جدة تحطمت.[٣١] وذكر أن باقوم كان يتجر إلى باب المندب فانكسرت سفينته بالشعيبة فأرسل إلى قريش: هل أن تجروا عيري في عيركم، يعني التجارة؟ وإن أمدكم بما شئتم من خشب ونجار فتبنوا به بيت إبراهيم؟[٣٢] وقيل: إنه كان في مكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته، فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة، بمساعدة

= *التاريخ*، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت، ١٩٩٣، مج. ١، ص ٣٣٩. وقد أخرج هذه الرواية الفسوي بإسناد صحيح عن الزهري. (أحمد الأمين بن محمد محمود الحكمي، *السيرة النبوية من فتح الباري*، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٨).

(٢٧) محمد حسين هيكل، *حياة محمد*، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٤١.

(٢٨) إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر النبوي*، المحمدية، ١٩٩٠، ص.٧٥.

(٢٩) إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر النبوي*، ١٩٩٠م، ص٧٥؛ ابن سعد، *كتاب الطبقات الكبير*، ج. ١، ص ١٢٠.

(٣٠) علي حسن الخربوطلي، *تاريخ الكعبة*، بيروت، ١٩٩١، ص ١٢٩.

(٣١) ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت، ٢٠٠١، مج. ١، ج.٢، ص ٣٢٤؛ المؤلف نفسه، *السيرة النبوية*، بيروت، ١٩٧١، ج. ١، ص ٢٧٦؛ برهان الدين الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ٢٣٣؛ الذهبي، *السيرة النبوية*، ص ٧٦، النهراوني، *كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام*، ص ٨٣.

(٣٢) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، ١٩٩٥، ج. ١، ص ٤٠٠، ٤٥٧، ٤٥٨.

باقوم. وكان هذا القبطي مولى لسعيد بن العاص.[٣٣] وقيل: إن أهل مكة أذنوا لأصحاب السفينة أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من متاعهم على أن لا يعشّر وهم.[٣٤]

زمن الملاحظ أن اسم "باقوم" قد تكرر ذكره في عدد من الروايات فقيل: إن باقوم أو بلقوم قام بصنع منبر رسول الله ﷺ في المدينة، وإن اسمه كان إبراهيم النجار.[٣٥] وذُكر أن باقوم (إبراهيم) هذا كان مولى لسعيد بن العاص، وقيل: أنه غلام لامرأة من الأنصار، ويحتمل أنه في الأصل كان مولى لسعيد ثم خدم المرأة الأنصارية بعد أن هاجر إلى المدينة[٣٦] وقيل: إن اسمه يا قوم، وأنه كان علجا أي أعجميا في السفينة نفسها التي قذفتها الرياح.[٣٧] مما يعني أنه عاش وبقي في مكة، وأسلم ثم هاجر إلى المدينة.

---

(٣٣) ابن كثير، *البداية والنهاية*، مج. ١، ج.٢٠، ص١؛ المؤلف نفسه، *السيرة النبوية*، ج.١ ، ص ٢٣٩؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ١، ص ٢٣٩؛ برهان الدين الحلبي، *السيرة النبوية*، ج ١، ص ٢٣٥؛ الطبري، *التاريخ*، ج. ٢، ص ٢٨٧؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ١٤١؛ النهراوني، *كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام*، ص ٨٣.

(٣٤) ابن الضياء المكي، *تاريخ مكة المشرفة والمدينة والقبر الشريف*، ١٩٩٧م، ص ٩٦.

(٣٥) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، (طبعة دار الفكر)، بيروت، ١٩٨٨، مج. ١، ص ص ٦٢، ٢٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ١٧٤، ٤٥٧.

(٣٦) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ص ٣٩٩-٤٠٠. انظر كذلك: أبا نعيم الأصفهاني، *معرفة الصحابة*، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، ١٩٩٨، ج. ١، ص ٤٤٧، رقم: ٣٥٦؛ ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ٢٢٦.

(٣٧) السهيلي، *الروض الأُنف*، تحقيق: مجدي منصور بن سيّد الشورى، بيروت، ط. ١، ج. ١، ص.٣٤٣. انظر كذلك ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج.١، ص ص ٤٠٠، ٤٥٧-٤٥٨.

العبيد في مكة

كانت مكة مكاناً وسوقاً لبيع العبيد والأساري من مختلف الأجناس، أصبحت فيها تجارة الرقيق تجارة منتظمة. وأكثر عبيد شبه الجزيرة العربية من الغرباء الأجانب: سودان من سواحل شرقي أفريقيا، وبالذات الحبشة، وبيض من بلاد فارس والروم. إذ كانت دولتا الفرس والبيزنطيين تبيعان ما يفيض عن حاجتهما من أسرى الفريق المغلوب في الأسواق، وترسلهم إلى أسواق شبه الجزيرة العربية ومن بينها مكة. وكان وجود طبقة العبيد أمراً عاماً في المجتمع العربي القديم بصورة عامة والمجتمع المكي بصورة خاصة.(٣٨) وربما استورد المكيون الرقيق الحبشي من اليمن، وربما قاموا بتصديرهم إلى الشمال.(٣٩) وقد تركز وجود العبيد عند أهل البطاح المشهورين بالتجارة، وندر وجودهم عند أهل الظواهر الفقراء الذين يعتمدون في حياتهم على الغزو و الرعي.(٤٠)

---

(٣٨) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ*، بيروت، ١٩٨٥، ص ص ٤٨-٤٩، ٥٠؛ برهان الدين دلو، *الجزيرة العربية قبل الإسلام: التاريخ الإقتصادي – الاجتماعي- الثقافي- والسياسي*، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٨٢؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي*، ص ١٥؛ عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام: دورها السياسي والإقتصادي والديني، الرياض، ١٩٩٤، ص ٦٤؛ فكتور سحّاب، *إيلاف قريش*، ص ١٥١، ١٥٢؛ ناصر الدين الأسد، *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٥؛ Ibrahim M. op. cit., p. 346.

(٣٩) Crone, P., op.cit., p. 80.

(٤٠) فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش*، ص ٢٥. قريش البطاح هم العشائر القرشية المقيمة حول الحرم. وقريش الظواهر هم العشائر القرشية المقيمة في ظواهر مكة والمناطق المحيطة بها وهم بادية لقريش. وينسب إلى قصي بن كلاب أنه أول من قسّم السكنى في مكة بهذه الطريقة. (ابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ج. ١، ص ٣٢٥، ٣٦٩.)

ونظراً لثراء ملأ قريش وتوسع أعمالهم التجارية والزراعية وتشعبها فقد جلب التجار أعداداً كبيرة من العبيد لاستغلالهم في أعمال الري والزراعة والرعي وحراسة القوافل التجارية، وتشغيلهم في الخدمة المنزلية. وهي أعمال صعبة مرهقة تتطلب جهداً كبيراً، ومع ذلك فقد كانوا يعيشون عيشة ضنكاً ويخضعون لقوانين اجتماعية صعبة سنذكرها لاحقا. وبصورة عامة فإن العبيد كانوا يزاولون المهن والصناعات والحرف التي لا يرغب في امتهانها والعمل بها العربي الصميم. وكان العبيد يعملون لحساب أهل مكة أحياناً ولحسابهم أحياناً أخرى.(٤١) ومن كثرة الرقيق ومن تنوع الأعمال التي كانت توكل إليهم يخيل للباحث في هذا العصر أن الرقيق هم قوام العمل في الحياة الجاهلية العربية بصورة عامة، وفي الحياة المكية بصورة خاصة.(٤٢)

---

(٤١) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٥٠، ٢٥٢؛ برهان الدين دلو، *الجزيرة العربية قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي – الثقافي - السياسي*، ص ١٨٤؛ جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ج. ٤، ص ١١٨- ١١٩، ج. ٦، ص ٦٠٦؛ خضير عباس الجميلي، *قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام*، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٣٧؛ خليل عبد الكريم، *قريش*، ص ٩٩؛ السيّد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص.١٥٧؛ عواطف أديب سلامة، *قريش قبل الإسلام: دورها السياسي والاقتصادي والديني*، ص ٦٤- ٦٥؛ فاروق أحمد اسليم، *الانتماء*، ص٣٥٧؛ نواف بن صالح الحليسي، *رحلة الشتاء والصيف: قريش ومنهجها التجاري والاقتصادي*، بيروت، ١٩٩٣، ص ٩٣؛ Ibrahim, M., op.cit., p. 346 قيل: إن قريشاً ولعدم تفرغها لشؤون الحرب كانت تستأجر جنداً مرتزقة من الحبشة وإفريقيا للقيام بالحراسة. عبده بدوي، *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*، ص ٦٥.

(٤٢) شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي*، ص ٥١؛ ناصر الدين الأسد، *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، ص ٣٠.

ومن أمثلة القرشيين المشهورين بكثرة العبيد، عبد الله بن أبى ربيعة، الذي كان تاجراً موسراً، وكان متجره إلى اليمن وكان لديه عبيد من الحبشة يعملون لصالحه ويتصرفون في جميع المهن، وكان عددهم كثير لدرجة أنه عرض على الرسول ﷺ أن يستعين بهم في غزوة حنين.(٤٣) وقامت هند بنت عبد المطلب(٤٤) باعتاق ٤٠ عبداً في يوم واحد، كما قام أبو أحيحة سعيد بن العاص(٤٥) بشراء

(٤٣) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، تحقيق: دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٦، ج. ١، ص ٨٠.

(٤٤) لم نعرف من المقصود بهند بنت عبد المطلب إذ أنه من المعروف أنه لا توجد ابنة لعبد المطلب بن هاشم بهذا الاسم إلا إذا كان المقصود هي أم هانئ هند، (وقيل: فاخته، وقيل: فاطمة) بنت أبي طالب بن عبد المطلب التي كانت إحدى نساء عصرها فضلاً ونبلاً. (حول أبناء عبد المطلب من البنين والبنات، انظر: ابن القيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٨، مج. ١، ص ٦٦؛ الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، ١٩٩٣، ج. ١١، ص ٨٢-٨٨؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٢١-٢٢٣). وحول أم هانئ، انظر: ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٤٨٥؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٤، ص ٥١٧؛ ابن قدامة المقدسي، *التبيين في أنساب القرشيين*، تحقيق: محمد الدليمي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٣٨؛ الذهبي؛ *سير إعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٩٨١، ج. ٢، ص ٣١١-٣١٢، الزبيري، *كتاب نسب قريش*، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، ط. ٣، ١٩٨٢، ص ٣٩؛ الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج. ١١، ص ٨٤، ١١٦.

(٤٥) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف، أحد مشاهير وسادة قريش، وكان يقال له: سيّد البطحاء، وكان إذا اعتمّ لا يعتمّ أحد على صورة (أو بلون) عمامته إجلالاً وإعظاماً له لعظم قدره. وكان يقال: له ذو التاج. وقد رُويت له قصة حدثت له في الشام حيث حُبس عند أحد الأمراء الغسّانيين نتيجة لاتهامه بتهريب الذهب. وقد قُدّرت ثروته بمائتي =

١٠٠ عبد ثم اعتقهم.[٤٦]

وكان بنو مخزوم القرشيون يملكون عدداً كبيراً من العبيد السود يستخدمونهم في مختلف الأعمال والحروب.[٤٧] وكان الرقيق الأسود في مكة يعرفون بسودان مكة، وكان غالبا ما تصاحب عربيتهم لكنة أعجمية، ربما تورّث لأبنائهم.[٤٨] وقيل: إن عبيد مكة

= ألف دينار، إضافة إلى العروض والأملاك. وكان من ألدّ أعداء الإسلام في بداية الدعوة الإسلامية. وقد توفي كافراً قبيل موقعة بدر. (انظر: أبا البقاء الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*، تحقيق: محمد خريسات وصالح دراركة، (مركز زايد للتراث والتاريخ)، العين، ٢٠٠٠، ج. ١، ص ص ٧٢- ٧٣، ٧٥؛ لبن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ج. ١، ص ٣٤٦؛ ابن قدامة المقدسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ص ١٨٧؛ ابن الكلبي، *جمهرة النسب*، ص.١٧٨؛ ابن الكلبي، *جمهرة النسب*، تحقيق: ناجي حسن، بيروت، ١٩٨٦، *تاريخ قريش*، ص ٤٤؛ حسين مؤنس ص ١٩٤؛ الزبيري، *كتاب نسب قريش*، ص ١٧٤.)

(٤٦) برهان الدين دلو، *تاريخ قريش ، الجزيرة العربية قبل الإسلام، التاريخ الاقتصاري والاجتماعي الثقافي والسياسي*، ص ١٨٣؛ الجاحظ، *المحاسن و الأضداد*، تقديم وشرح: علي أبو ملحم، بيروت، ١٩٩١، ص ٨٧، السيّد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٥٧؛ شوقي ضيف، تاريخ *الأدب العربي في العصر الجاهلي*، ص ٥١.

(٤٧) برهان الدين دلو، *الجزيرة العربية قبل الإسلام: التاريخ الإقتصادي – الاجتماعي – الثقافي - السياسي*، ص ١٨٣.

(٤٨) ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دمشق، ١٩٩٥، مج.١٠، ص ٥٣؛ الذهبي، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت، ١٩٩٥، ج. ١، ص ٤٥١- ٤٥٢؛ الحافظ المزي، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت، ١٩٨٥، ج. ٣، ص ص ٤٤٩- ٤٥٠، ٤٥١.

كانوا من الأحباش المتخلفين من جيش أبرهة.[٤٩] وقيل: إنه أضحت مكة وكأنها مستعمرة حبشية من كثرة العبيد الأحباش.[٥٠]

أما الأرقاء البيض فهم ينتمون غالباً إلى بلدان متحضرة كبلاد الشام والعراق، وهم مثقفون وذوو خبرة، لذا استخدمهم السادة في إدارة الأعمال التجارية وتولي الحرف اليدوية وأعمال البناء والنجارة التي تتطلب خبرة ومهارة وفن. ويضاف إلى هؤلاء الأرقاء الرقيق المستورد من أسواق أوروبا، وعادة ما تكون أسعار الرقيق الأبيض أغلى ثمناً من الرقيق الأفريقي.[٥١] كما كان السادة يتوارثون هؤلاء العبيد من آبائهم وأجدادهم.[٥٢] وفرضت عليهم الكثير من القيود إذ ليس لأي منهم أن يتزوج إلا بإذن سيده، ومنهم ليس له حق الملكية والمقاضاة، ومن حق أسيادهم أن يبيعوهم أو يهبوهم أو يعاقبونهم.[٥٣] وكانت لهؤلاء السادة مطلق السلطة على عبيدهم لدرجة أنهم كانوا يتحكمون في اعتقاداتهم وأفكارهم، وكانوا يعذبونهم أشد العذاب في حالة مخالفتهم لهم

---

(٤٩) علي إبراهيم حسن، *التاريخ الإسلامي العام: الجاهلية – الدولة العربية – الدولة العباسية*، القاهرة/ الكويت، ١٩٧٧، ص ١١٦.

(٥٠) عبده بدوي، *السود والحضارة العربية*، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٦٥.

(٥١) برهان الدين دلو، ، *الجزيرة العربية قبل الإسلام، التاريخ الاقتصاري والاجتماعي الثقافي والسياسي*، ص ١٨٤ ؛ جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤، ص ٣٠٦، ١٢٠، ج. ٦، ص ٣٠٦؛ خضير عباس الجميلي،*قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام*، ص ٣٧-٣٨، عواطف أديب سلامة،*قريش قبل الإسلام: دورها السياسي والاقتصادي والديني*، ص.٦٥ ؛ نواف بن صالح الحليسي، *رحلة الشتاء والصيف: قريش ومنهجها التجاري والاقتصادي*، ص ٩٣.

(٥٢) ابن حجر العسقلاني، *تهذيب التهذيب*، حيدر آباد، ط. ١، ١٣٢٥ هـ، مج. ١، ص ٣٩٥؛ Ibrahim, M., op.cit., p. 346.

(٥٣) خضير عباس الجميلي، *قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام*، ص ٨٣.

في الدين والعقيدة، وأشهر الأمثلة على ذلك ما قام به السادة من تعذيب عبيدهم وإمائهم عند دخولهم الإسلام، كما سوف نذكر لاحقاً.

ومع ذلك فإن هؤلاء الرقيق تركوا أثرا في نفوس السادة، ودخلت عن طريقهم إلى اللغة العربية بعض المصطلحات الفارسية والرومية والحبشية. أكد العرب أنفسهم أنها مصطلحات غير عربية ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالصناعات والأعمال التي يأنف العربي من أن يشتغل بها.(٥٤)

الزائرون الأجانب

يبدو أيضا أن مكة كانت تعج بالزائرين الأجانب أصحاب أهداف وغايات خاصة بهم، ويحتمل أنهم كانوا يبحثون عن النبي المنتظر، وربما كانوا عيوناً أُرسلوا من بلدانهم ويدل على هذا الافتراض أن نفراً من نصارى الحبشة رأوا رسول الله ﷺ مع حليمة السعدية حين رجعت به من مضارب قومها إلى مكة بعد فطامه صلى الله عليه وسلم، فنظروا إليه، وسألوها عنه، وقلّبوه، ثم قالوا لها: لنأخذن هذا الغلام فنلذهبن به إلى ملكنا وبلدنا، فان هذا الغلام كائن له شأن، نحن نعرف أمره. ولقد أفلتت منهم بصعوبة وتخلصت من أذاهم.(٥٥) والظاهر أن هؤلاء الأحباش كانوا يتكلمون العربية وإلا كيف فهمت حليمة مقالهم، إلا إذا كانت حليمة تفهم اللغة الحبشية، وهو الشيء الذي لم يرد في المصادر التاريخية.

---

(٥٤) جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤، ص ١٢٠؛ Trimingham,J.S., op.cit., p. 266

(٥٥) ابن كثير، *البداية والنهاية*، مج. ١، ج. ٢، ص ٣٠٠؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ١، ص ٢١٦.

كما انتشرت عادة التسري بالعدد اللا محدود من الإماء. وعُرف عدد من القرشين الذين كانت أمهاتهم جواري سوداوات من أمثال: بني سهم إذ كانت أمهم قسامة، أمة سوداء. ولقد كانت العرب تطلق على من كانت أمه غير عربية الأصل لفظة هجين. وكانوا يعيرون من كان هجيناً . وقد عيّر الصحابي الشاعر كعب بن مالك عبد الله بن الزبعري السهمي أنه هجين في قوله:

سألت بك ابن الزبعري فلم أُنبّاك في القوم هجينا(٥٦)

أمهات غير عربيات

عُرف أناس من قريش أنه أمهاتهم كن حبشيات نصرانيات من أمثال نضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أمه يقال لها صهال، ونفيل بن عبد العزى العدوي وأمه أيضاً تدعى صهال، وعمرو بن ربيعة بن حبيب من بني عامر بن لؤي وأمه تدعى أيضاً صهال، والخطاب بن نفيل العدوي أمه اسمها حية، والحارث بن عبد الله بن آبي ربيعة المخزومي أمه تدعى سبحاء وقيل:(فرسان)، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وهشام بن عقبة بن أبي معيط، وعمير بن جدعان التيمي، وعمرو بن العاص ومالك بن عبيد الله بن عثمان الأموي، وأبو مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي، وصفوان بن أمية الجمحي وغيرهم.(٥٧)

---

(٥٦) انظر: حسّان بن ثابت، *الديوان*، تحقيق: سيّد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٩٧، ١٠٨-١٠٩ ؛فاروق أحمد اسليم، *الانتماء*، ص ١٧٠. انظر كذلك: Ibrahim, M., op.cit., p. 346

(٥٧) ابن حبيب، *المحّبر*، ص ٦٠٣-٣٠٧؛ المؤلف نفسه، *المنمّق*، تصحيح وتعليق: خور رشيد أحمد فاروق، بيروت، ص ١٩٨٥، ص ٤٠٠-٤٠١ ؛ أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ج. ١، ص ٨١ ؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ١٤٧ ؛جواد علي، *المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤، ص ١١٩ ؛ حسّان بن ثابت، *الديوان*، ص ١٠٨-١٠٩.

ومن الذين تزوجوا من الإماء العباس بن عبد المطلب الذي تسرى بجارية رومية، ولدت له ولده كثير الذي أدرك النبي ﷺ وهو صغير إذ وُلد سنة عشر قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر.(٥٨) وكذلك تسرّى بعض القرشيين بجوار يهوديات، وولدن لهم من أمثال: صيفي وأبو صيفي إبنا هاشم بن عبد المطلب أمهم واحدة من أهل خيبر، تدعى هند بنت عمرو بن ثعلبة بن سلول بن الخزرج، وقيس بن مخرمة بن المطلب، ومسافع بن عبد مناف بن عمير بن أهيب الجمحي، أمهما واحدة من أهل خيبر، تدعى أسماء بنت عبد الله بن سبيع، من عنزة، وأبو عزة الشاعر عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب الجمحي، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصين والحصين بن سفيان بن أمية بن عبد شمس، أمهم واحدة يقال لها الرباب بنت الحارث بن حباب، من أهل يثرب وأمها شريفة يهودية.(٥٩)

كما تسرّى السادة بإماء روميات من أمثال والدة أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، أحد الأولين وهو أخو مصعب بن عمير.(٦٠) وتسرّى السادة بنساء سنديات مثل جدة سهيل بن عمرو لأمه وهي أمة سندية، وقد عيّره حسان بن ثابت بذلك.(٦١)

---

(٥٨) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٤، ص ١٥١؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٥، ص ٤٧٣؛ ابن قانع، *معجم الصحابة*، تحقيق: خليل إبراهيم قوتلاي، الرياض، ١٩٩٨، ج. ١٣، ص ٤٤٩٣، رقم: ٩٣٩؛ جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٦، ص ٦٠٥؛ السهيلي، *الروض الأُنف*، ج. ٣، ص ٩٨.

(٥٩) ابن حبيب، *المنمّق*، ص ٤٠٢- ٤٠٣؛ الزبيري، *كتاب نسب قريش*، ص ١٦، ٩٢، ٢٠٠، ٣٩٧، ٣٩٨.

(٦٠) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٥، ص ١١٤؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٤، ص ٢٢٣.

(٦١) حسّان بن ثابت، *الديوان*، ص ١٥٨.

وعلى الرغم من وجود أبناء الهجين[٦٢] في المجتمع المكي وتسامحه مع هذه المسألة إلا أن هذا التسامح ليس مطلقا فقد ظهر من القرشيين أصوات تعصبت للنسب الصريح وذمت الهجنة.[٦٣] ويسمى أحيانا من ولد من أَمة مولدا، وغالبا ما كان السادة يرفضون الاعتراف بحرية الأبناء المولدين.[٦٤]

الإماء والبغاء

إضافة إلى قيام بعض هؤلاء الإماء بالبغاء، وكان لعبد الله بن جدعان جوار يقمن بالبغاء (قيل: عددهن ست) ولما يحملن ويلدن يبيع أولادهن أو يبقى منهم من يشاء. وكانت الجواري ينصبن الرايات الحمر لتعرف منازلهن. ولم يكن لهن مساواة في الحقوق ولا مساواة في المعاملة.[٦٥] وقد اشتهر قول زيد بن عمرو بن نفيل في أمته:

إذا طمثت قادت وإن طهرت فهـــي أبدا يزنى بها وتقود[٦٦]

---

(٦٢) الهجين عند العرب الذي أبوه شريف، وأمه وضيعه، وفي الأصل أن تموت أَمَة.(المبرد ، *الكامل*، مج. ٢، ص ١٤٧).

(٦٣) فاروق أحمد اسليم، *الانتماء*، ص.١٧٠، ح. (٩٤). انظر كذلك: Dostal,W., op.cit., p. 211

(٦٤) فاروق أحمد اسليم، *الانتماء*، ص ٣٥٧؛ Ibrahim, M., op.cit., p. 346

(٦٥) ابن قتيبه، *المعارف*، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ط. ٤، ١٩٨١، ص ٥٧٦؛ برهان الدين دلو، ، *الجزيرة العربية قبل الإسلام، التاريخ الاقتصاري - والاجتماعي - الثقافي - السياسي*، ص ص ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٠- ٢٠١؛ عواطف أديب سلامة، *قريش قبل الإسلام: دورها السياسي والاقتصادي والديني*، ص ٦٧؛ Ibrahim, M., op.cit., p. 346.

(٦٦) ابن قتيبة، *كتاب عيون الأخبار*، تحقيق: محمد الإسكنداري، بيروت، ١٩٩٧، مج. ٢، ج. ٤، ص ٣٩١؛ فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش*، ص ٣٥٨.

وقد أشارت السيدة عائشة إلى عدد من أنواع النكاح في الجاهلية، وذكرت منها: "يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمعوا لها ودعو القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطه به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك".(٦٧) ويتضح من هذا الحديث أن هؤلاء البغايا كن يضعن علامات على أماكن خاصة بهن. وكان الرجال يأتون إليهن ولم يكن يمتنعن عن أحد.(٦٨) وإحضار القافة يدل على أن هؤلاء البغايا كن يخترن من يحدده القافة بغض النظر أثبت انتساب الولد له أم لا.

وحدّد البعض أن هؤلاء البغايا كن عشر نساء وربما أكثر، معلومات معروفات، لهن رايات كرايات البيطار.(٦٩) وذكر البعض أسماءهن، وهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم عليط جارية صفوان بن أمية الجمحي، وحنة القبطية جارية العاص بن وائل السهمي، ومرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن

(٦٧) البخاري، *الصحيح*، كتاب: *النكاح*، باب: من قال لا نكاح إلا بولي، رقم: ٥١٢٧. "القافة" أي الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية، و"التاطه" أي استلحقه به. (ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج. ٩، ص ٢٣٢).

(٦٨) ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج. ٩، ص ٢٣١- ٢٣٢.

(٦٩) ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج. ٩، ص ٢٣٢؛ الشوكاني، *نيل الأوطار*، تحقيق: طه عبدالرووف سعد ومصطفى محمد الهواري، القاهرة، ١٩٧٨، ج. ٧، ص ٣٢٩-٣٤٠. انظر كذلك: الطبري، *التفسير*، ط. ٣، ١٩٨٦، القاهرة، ج. ١٨، ص ٧٢، ٧٣.

مالك بن عامر بن لؤي، وقرينة أو (قريبا) جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر. وكانت بيوتهن تسمى المواخير.(٧٠)

وكانت منهن عناق صديقة مرثد بن أبى مرثد الغنوي قبل إسلامه. وبعد هجرته إلى المدينة كان يأتي إلى مكة ينقل الأسارى من المسلمين إلى المدينة وفي إحدى جيئاته إلى مكة التقى بعناق فدعته إلى نفسها، وقالت له: مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة، فرفض؛ لأن الإسلام حرم الزنا. فأخذت تصيح في القوم لتلفت أنظار القرشيين إليه، ولكنه تمكن من الهرب. ولما وصل المدينة سأل رسول الله ﷺ أن يأذن له في الزواج بعناق: فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (النور: ٣).(٧١) وقولها: "هلم فبت عندنا الليلة" يعني أن لديها مكان خاص بها تمكن الزائرين من الإقامة والمبيت فيه. وذُكر أيضاً في سبب نزول هذه الآية أن الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة وقد أستأذن رجل من المسلمين النبي ﷺ في نكاح أم مهزول وكانت إمرأة جميلة، على أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية.(٧٢)

---

(٧٠) الثعلبي، *الكشف والبيان (التفسير)*، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعه وتدقيق: نظير الساعدي، بيروت، ٢٠٠٢، ج. ٧، ص ٦٥-٦٦؛ الطبري، *التفسير*، ج.١٨، ص ٧٣.

(٧١) الثعلبي، *الكشف والبيان (التفسير)*، ج. ٧، ص ٦٦؛ العظيم آبادي، *عون المعبود بشرح سنن أبي داوود*، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، ١٩٦٩، ج. ٦، ص ٤٨-٤٩؛ المباركفوري، *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، بيروت، ١٩٩٠، ج. ٩، ص ١٦- ١٧.

(٧٢) الثعلبي، *الكشف والبيان (التفسير)*، ج. ٧، ص ٦٦؛ الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، *(التفسير)*، القاهرة، ب.ت.، ص ٣٣٥؛ الطبري، *التفسير*، ج.٧١- ٧٢؛ مجاهد بن جبر، *التفسير*، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٨٩.

ومن الراجح أن عدداً من القرشيين كانوا يملكون بيوت المواخير، وكانوا يؤاجرون فتيانهم فيها. وكن يعرفن حسب ولائهن فيقال: بغي آل فلان وبغي آل فلان.(٧٣) وكان القرشيون يأكلون من أموال البغاء حتى قال: أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران المخزومي، لما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيّباً، لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.(٧٤) ويقال: أن عبد المطلب بن هاشم أبعد ذوات الرايات الحمر من مكة.(٧٥) وروى أبو مسعود الأنصاري أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن.(٧٦) وعن رافع بن خديج قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: شر الكسب مهر البغي.(٧٧) وعنه عن النبي ﷺ أنه قال: مهر البغي خبيث.(٧٨) وعن أبى هريرة أن النبي ﷺ سئل عن كسب

(٧٣) الطبري، *التفسير*، ج. ١٨، ص ٧٢.

(٧٤) ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ١، ص ٢٤٠؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٦، ص ١٠٠. وذُكر أن القرشين قد اتفقوا على أنهم لا يدخلون في بنائها من كسبهم إلا حلالا طيبا. (الخوارزمي، *إثارة الترغيب والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق*، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٣٠.)

(٧٥) اليعقوبي، *التاريخ*، مج. ١، ص ٣٣٢.

(٧٦) الترمذي، *السنن*، تحقيق: محمد حسين الذهبي، القاهرة، ١٩٩٩، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في كراهية مهر البغي، ج. ٣، ص ٢، رقم: ١١٣٣.

(٧٧) مسلم، *الصحيح*، كتاب: المساقاة، باب: تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور، رقم: ١٥٦٧.

(٧٨) مسلم، *الصحيح*، كتاب: المساقاة، باب: تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور، رقم: ١٥٦٨.

الإماء، فنهى عنه. والكسب هنا أي بالفجور لا ما تكتسبه بالصنعة والعمل، أو المراد بالكسب كسبهن بالزنا وشبهه، وهو مجمع على تحريمه، لا بالغزل والخياطة.[٧٩]

الإماء المغنّيات

واشتهر في مكة القيان وهن جمع قينة، وهي الأمة مغنية كانت أو غير مغنية، وقيل: إنما قيل للمغنية قينة إذا كان الغناء صناعة لها وذلك من عمل الإماء دون الحرائر.[٨٠] وتقوم الإماء (القيان) بالرقص والغناء والعزف على الملاهي في بيوت السادة والملأ. وفي الحانات أيضاً إذ يقمن باللهو والغناء والترجيع لتسلية طلاب المتعة والأنس واللذة. وكان عبد الله بن جدعان يمتلك قينتين عرفتا بجرادتي عاد تشبهاً بجرادتي معاوية بن بكر أمير العمالقة، ولقد كانتا مقصدا لأهالي مكة. وقيل: إن هاتين القينتين صنعتا ألحاناً جميلة جذبت إليهما الناس لسماع غنائهما. وأصبحت دار بن جدعان مفتوحة للزائرين دائماً. ثم وهب هاتين القينتين لصاحبه الشاعر أمية بن أبى الصلت. وكان من غنائهما:

أقفر من أهله مصيف فبطن نخلة فالعريف.

وأيضاً:

---

(٧٩) العظيم آبادي، *المصدر السابق*، ج. ٩، ص ٢٩٣؛ المباركفوري، *المصدر السابق*، ج. ٤، ص ٢٣٨؛ النووي، شرح صحيح مسلم، (دار الفكر)، بيروت، ١٩٧٨، ج. ١٠، ص ٢١٥.

(٨٠) لمزيد من التفاصيل حول معاني لفظة "قينه"، انظر: ناصر الدين الأسد، *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، ص ١٥-٢٣. انظر كذلك: عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، *قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي*، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥٧٦-٥٧٧.

عطاؤك زين لإمرئ إن حبوته ببذل وما كل العطاء يزين.[٨١]

وذُكر أن جارية ابن جدعان كانت تدعى جرادة وقد بالغ من جعلها أول من غنى الغناء العربي.[٨٢] وممن اشتهر من المغنيات جاريتا عبد الله بن خطل فرتني أو (فرثنا) وقريبة وقيل: (سارة)، وكان ابن خطل يعلمهما الغناء بهجاء النبي ﷺ وأصحابه، وكانتا ممن أهدر النبي ﷺ دمهما يوم الفتح، فأسلمت فرتني فتركت وقُتلت الأخرى.[٨٣] وممن عُرف من القيان المغنيات أيضاً أسماء وعثمة قينتا مقيس بن عبد قيس بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم الذي كان بيته مجمعاً لشباب قريش وخلعائهم من أمثال أبى لهب بن عبد المطلب والحكم بن أبى العاص والحارث بن عامر بن نوفل والفاكه بن المغيرة ومليح بن الحارث بن السباق بن عبدالدار وأبي مسافع الأشعري، وكان يقوم بخدمتهم دويك ودييك من خزاعة، وكانوا يجتمعون للطرب والشرب والمجون. وقد ورد ذكر هاتين القينتين في قصة قيام شباب قريش المرتادين لدار مقيس بسرقة غزال الكعبة الذهبي رغبة في بيعه ثم الشراء بثمنه خمراً كانت قادمة من الشام إذ لم يكن هؤلاء الشباب يملكون المال

(٨١) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ج. ٨، ص ٤٤٩؛ برهان الدين دلو، *الجزيرة العربية قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي - السياسي*، ص ص ١٥-٢٣. انظر كذلك: ناصر الدين الأسد، *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، ص ص ٨٣-٨٤.

(٨٢) السيوطي، *الوسائل إلى معرفة الأوائل*، تحقيق: عبد القادر أحمد، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٨٨. قارن: الشبلي الدمشقي، *محاسن الأوائل في معرفة الأوائل*، تحقيق: محمد ألتو نجي، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٢٧.

(٨٣) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٢٧٩؛ ابن شاكر الكتبي، *السيرة النبوية الشريفة*، تحقيق: عفيف نايف حاطوم، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٢٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج. ٤، ص ٢٤؛ السهيلي، *الروض الأُنف*، مج. ٤، ص ١٧٠.

اللازم. وعندما سرقوا غزال الكعبة، وافتقده القرشيون، أخذوا في البحث عنه. وفي أثناء سكر الشباب غنت لهم القينتان بيتين لأبى مسافع:

إن الغزال الذي كنتم وحلـيته تقنونـه لخطـوب الدهـر والغـير

طافت به عصبة من شر قومهم أهل العلى والندى والبين ذي الستر

وقد سمع العباس بن عبد المطلب هذا الغناء، وهو كان في حاجة له بدور بني سهم، فاخبر أخويه أبا طالب والزبير وعبد الله بن جدعان فأقبلوا حتى دنوا من الباب فسمعوا القينتين تغنيان لأبى مسافع:

أبلغ بني النضر أعلاها وأسفلها أن الغزال وبيـت الله والركـن

أمست قيان بني سـهم تقسمه لم يغل عند نداماهن في الثمن

فلما دخلوا وجدوا مقيساً غائباً، فأخذوا القينتين فوجدوا إحداهما مقرطة قرط الغزال، والأخرى مشنفه بشنفه، وقد أخبرتاهم بخبر سرقة الغزال. ويبدو من قول أبي مسافع: أمست قيان بني سهم تقسمه، أن هؤلاء القيان كن أكثر من اثنتين، وقيل إن أسماءهن: أسماء وعثمة وقتل وبوهة.(٨٤)

ولم تكن هؤلاء المغنيات يتغنين بلغاتهن الأصلية كالفارسية واليونانية واللاتينية فحسب بل كن يتغنين باللغة العربية أيضاً. وشمل غناؤهن أغراضاً شتى كالمديح والهجاء والرثاء والحماسة وغيرها. وصار القيان جزءا من الحياة الاجتماعية في المجتمع المكي.(٨٥)

---

(٨٤) انظر: حسّان بن ثابت، *الديوان*، ص ٢٨٦-٢٩١؛ ناصر الدين الأسد، *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، ص ٧٩-٨١ انظر كذلك: جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤، ص ١١٠.

(٨٥) برهان الدين دلو، *الجزيرة العربية قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي - الثقافي - السياسي*، ص.٥٢٠؛ عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ص.٥٧٧-٥٧٨.

الـ ـديانات

تشير الآيات القرآنية إلى وجود عدد من الأجانب في مكة وإلى ديانة هؤلاء الأجانب على أنهم أهل كتاب.(٨٦) ويفهم من قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ . [العنكبوت: ٤٦] أنه كانت في مكة جالية كتابية: يهودية ونصرانية، وأُمر المسلمون بمجادلة أهل الكتاب بالتي أحسن كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة إلا الذين ظلموا منهم وأبوا. وهذه الآية مكية.(٨٧) ومن قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۖ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ .[المدّثّر: ٣١]

---

(٨٦) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٢؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٦٠.

(٨٧) جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، *التفسير، بهامش القرآن الكريم*، بيروت، ط. ٤، ١٩٨٩، ص ٤٠٢؛ القرطبي، المصدر السابق، ج. ١٣، ص ٣٦٣- ٣٦٤.

بمعنى ليوقن الذي أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم أو الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام أو يريد الكل.(٨٨)

أ) اليهودية

أما فيما يتعلق بأتباع الديانات، ووجودهم في مكة فاليهود لم يكونوا حين ظهور الإسلام كثرة في العدد، ولكنهم كانوا بالنسبة لأهالي مكة الفئة المثقفة، ويروى انه كان يوجد بمكة عند ظهور الإسلام ١٧ شخصاً تعلموا على أيدي اليهود. وربما كان بها أسر يهودية محدودة العدد.(٨٩) ويبدو أن سبب قلة اليهود في مكة يعود إلى كون المدينة في واد غير ذي زرع فلم يرغبوا في الإقامة بها، خاصة أنهم قوم يميلون إلى الزراعة. ومن وُجد بها منهم فربما اشتغل بالتجارة أو الصناعة.(٩٠) وتتحدث السور المكية عن موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون وتذكر قصصاً لبني إسرائيل، مما يدل على أن رسالة موسى عليه الصلاة والسلام، كانت موضع جدال كبير بين مشركي قريش والرسول ﷺ.(٩١)

ويروى أنه عندما بدأت قريش في إعادة بناء الكعبة وجدوا في الركن، (قيل: انه في أسفل المقام)، كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا قراءته حتى قرأه لهم رجل من يهود (قيل: إنه من يهود اليمن، وقيل: إنه حَبر) فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السماوات

---

(٨٨) القرطبي، المصدر السابق، ج. ١٩، ص ٨٠. قد يظن

(٨٩) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٥؛ جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*؛ ج. ٦، ص ٥٣٠، محمد جميل بيهم، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٩٠) حسن خالد، *موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية*، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٤١، ٢٩٧.

(٩١) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٥.

والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول أخشابها أي جبلاها.(٩٢)

وروى ابن سعد والحاكم وأبو نعيم بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها (أو يبيع بها تجارات) فلما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ﷺ، قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل وُلد فيكم الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس (أو به شامة بين كتفيه سوداء صفراء فيها شعرات متواترات)، لا يرضع ليلتين. فتصدّع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله. فلما ساروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: لقد وُلد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً. فالتقى القوم حتى جاؤوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال: اذهبوا معي حتى انظر إليه فخرجوا حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: أخرجوا إلينا ابنك. فأخرجته وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة، فوقع مغشيا عليه فلما أفاق قالوا: ويلك مالك؟ قال: والله ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم وهذا مكتوب يقتلهم ويبير أحبارهم، فازت العرب بالنبوة أفرحتم به يا معشر قريش، والله (أو أما والله) ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها (أو نبؤها) من المشرق إلى المغرب.(٩٣)

---

(٩٢) ابن فهد المكي الفاسي، *إتحاف الورى*، ج. ١، ص ١٥٥؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ١، ص ٢٤٢؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، مج. ١، ج. ١، ص ٣٢٥؛ برهان الدين الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ٩٣؛ حسين بن عبد الله بإسلامه، *تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها وكسوتها وسدانتها*، تعليق: يوسف بن علي الثقفي، الرياض، ١٩٩٩، ص ٩٣؛ الخوارزمي، المصدر السابق، ص.١١٤-١١٥.

(٩٣) ابن سعد، *كتاب الطبقات الكبير*، ج. ١، ص ١٣٦-١٣٧؛ ٣٧؛ ابن فهد المكي الفاسي، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة، ١٩٨٣، ج. ١، ص ٥٤-٥٥؛ برهان الدين الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ١٠٨- ١٠٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، =

وعن الواقدي أنه كان بمكة يهودي يدعى يوسف، لما كان اليوم أي الوقت الذي وُلد فيه رسول الله ﷺ قبل أن يعلم به أحد من قريش، قال: يا معشر قريش قد وُلد نبي هذه الأمة الليلة في بحرتكم، (أي ناحيتكم هذه) وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبراً، حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب فسال، فقيل له: قد وُلد لابن عبد المطلب (أي عبد الله)، فقال: هو نبي والتوراة.(٩٤) وربما هو نفسه اليهودي السابق.

ورُوي أيضاً أن يهودياً قال لعبد المطلب بن هاشم: يا سيد البطحاء إن المولود الذي كنت حدثتكم عنه قد وُلد البارحة، فقال عبد المطلب: لقد وُلد لي البارحة غلام، قال اليهودي: ما سميته؟ قال: سميته محمداً، قال اليهودي: هذه ثلاث يشهدن على نبوته، إحداهن: أن نجمه طلع البارحة، والثانية: أن اسمه محمد، والثالثة: أنه يولد في صبابة قومه، وأنت يا عبد المطلب صبابتهم.(٩٥) ويتضح من هذه القصة أن هؤلاء اليهود كانوا يتحدثون بما يعتقدون على ملأ من قريش، وربما كانوا يبثون أخبارهم بينهم.

ويحتمل أن بعض اليهود كانوا يقدمون إلى مكة بهدف التحسس عن النبي الجديد الذي يبعث من بني إسماعيل، ومن أمثلة هؤلاء ذلك اليهودي الذي أتى مكة بعثة النبي

= تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، ١٩٨٥، ج. ١، ص ١٠٨- ١٠٩؛ الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، مع تضمينات الإمام الذهبي في *التلخيص والميزان* والعراقي في *أماليه* والمناوي في *فيض القدير*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٠، ج. ٢، ص ٦١، رقم: ١٨٧/٤١٧٧، (وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقّبه الذهبي بقوله: لا، نافيا لصحته)؛ الصالحي الشامي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ٣٢٩. انظر كذلك: خليل عبد الكريم، *فترة التكوين في حياة الصادق الأمين*، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢١١؛ اليعقوبي، *التاريخ*، مج. ١، ص ٣٣٠.

(٩٤) برهان الدين حلبي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ١١٣.

(٩٥) النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٦، ص ١٣٦.

ﷺ، وربما جاء قبل البعثة وشهد للنبي ﷺ بالرسالة وبالنبوة. وربما كان هذا اليهودي مقيماً في مكة.[٩٦] وقد ورد تسجيل ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . (الأحقاف: ١٠). ويرى البعض أن المعني بالآية هو الصحابي عبد الله بن سلام.[٩٧] ولكن من المعروف أن الآية مكية، وعبد الله بن سلام

(٩٦) ابن عطيّة، *المحرر الوجيز*، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرون، الدوحة، ١٩٨٩، ج. ١٣، ص ٣٣٩، ٣٤٠؛ ابن كثير، *التفسير*، مج. ٥، ص ٥٦٦؛ السيوطي، *الدرر المنثور في التفسير بالمأثور*، (دار المعرفة)، بيروت، ب.ت.، مج. ٦، ص ٣٩؛ صدّيق بن حسن القنوجي البخاري، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ١٩٩٩، مج. ٦، ص ٢٢٦؛ الطبري، *التفسير*، ج. ٢٦، ص ٩، ١٢.

(٩٧) ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ٢٠٠١، مج. ٤، ص ١٠٤- ١٠٥؛ ابن كثير، *التفسير*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ٢٠٠٢، مج. ٥، ص ٥٦٦؛ البغوي، *معالم التنزيل*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ٢٠٠٠، ج. ٤، ص ١٩٢؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل (التفسير)*، تحقيق: عبد القادر عرفان العشّا حسونة، بيروت، ١٩٩٦، ج. ٥، ص ١٧٨؛ الترمذي، *السنن*، تحقيق: مصطفى الذهبي، القاهرة، ١٩٩٩، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحقاف، ج. ٥، ص ٢١٩، رقم: ٢٣٥٦؛ السيوطي، الدر المنثور، مج. ٦، ص ٣٩- ٤٠؛ صدّيق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، مج. ٦، ص ٢٩٦- ٢٩٧؛ النسفي، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل (التفسير)*، تحقيق: مروان، محمد العشّار، بيروت، ١٩٩٦، ج. ٤، ص ٢٠٨.

أسلم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، بل ورد في بعض الروايات أن إسلامه قد تأخر إلى السنة الثامنة من الهجرة.(٩٨)

ويروى أيضاً أن عبد المطلب بن هاشم كان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس. وكان في جوار (أو جار) عبد المطلب يهودي يقال: له أذينة (أو أدينة). وكان اليهودي يتسوق في أسواق تهامة بماله. فغاظ ذلك حرباً ، فألب عليه فتياناً من قريش، وقال: هذا العلج الذي يقطع إليكم ويخوض بلادكم بمال جم كثير من غير جوار ولا خيل، والله لو قتلتموه وأخذتم ماله ما خفتم تبعة ولا عرض لكم أحد يطلب بدمه. فشد عليه عامر بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وصخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، فقتلاه. فلما علم عبد المطلب بمقتل اليهودي سعى لمعرفة من قتله حتى علمهما فأجارهما حرب بن أمية فوقعت المنافرة بين حرب وبين عبد المطلب واحتكما أولا إلى النجاشي فأبى أن يدخل بينهما فاحتكما إلى نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله، جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فحكم لعبد المطلب وبضرورة تسليم الدية عن القتيل، فأبى حرب واغلظ القول لنفيل. ولكن عبد المطلب لم يترك حرباً حتى أخذ عنه مائة ناقة، ودفعها إلى ابن عم اليهودي القتيل، كما ترك منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان.(٩٩)

---

(٩٨) لمزيد من التفاصيل والمناقشة وجمع الروايات، انظر: ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، مج. ٤، ص ١٠٥ ؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٤، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ المؤلف نفسه، *فتح الباري*، ج. ٧، ص ١٦٣-١٦٤ ؛ الألوسي، *روح المعاني*، قراءة: محمر حسين العرب، بيروت، ١٩٩٧، مج. ١٤، ص ٢١ ؛ القاسمي، التفسير *(محاسن التأويل)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ١٩٩٤، مج. ٤، ص ٤٥٨ ؛ النسفي، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، ج. ٤، ص ٢٠٩.

(٩٩) ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، ١٩٨٥، ج. ٢، ص ٩ ؛ أبو البقاء الحلي، المصدر السابق، ج. ١، ص ٧٥ ؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ٧٣-٧٤ ؛ Ibrahim, M., op.cit., p. 352

ويفهم من هذه القصة أن اليهود كانوا يقومون بالتجارة بحرية تامة وأنهم كانوا تحت جوار كبار رجالات مكة. وأن من يظلم منهم يؤخذ له الحق مهما كان قدر من ظلمه. وكان اليهود يقيمون في مكة للتجارة والمراباة.(١٠٠)

ومن اليهود المعروفين، جبر مولى بني عبد الدار، سمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكتم إسلامه ثم علم مواليه بذلك فعذّبوه فلما فتح الرسول ﷺ مكة شكا إليه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه وأعتق واستغنى، وتزوج إمرأة ذات شرف في بني عامر.(١٠١)

ويبدو أنه لم يكن لهؤلاء اليهود أي تأثير ديني على عرب مكة بسبب قلة أعدادهم وكون الدين اليهودي بطبعه ليس ديناً تبشيرياً، وإنما هو دين قومي خاص ببني إسرائيل لذا فهم لا يهتمون بنشر دينهم، ولم يبذلوا أي جهد للأخذ بأيدي المكيين الوثنيين إلى عقيدتهم الإلهية. إضافة إلى أن اليهود أهل صناعة وزراعة ويمتهنون مهناً غير متقبلة لدى العرب. كما أن اليهود يتصفون بالشح والبخل والأنانية وهي صفات يأنف منها العربي.(١٠٢) ومع ذلك فان لأهل مكة بهم معرفة ربما نتيجة لمحاولات اليهود توضيح ثقافتهم وخلفياتهم التاريخية في بعض الأحيان. ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ

(١٠٠) عبد الرحمن الطيّب الأنصاري، "الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية"، في كتاب: *الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين*، تحرير: عبد الرحمن الأنصاري وآخران، الرياض، ١٩٨٩، ج. ١، ص ١١.

(١٠١) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ٥٦٢.

(١٠٢) محمد حامد الناصر وخولة درويش، *الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام*، دراسة مقارنة، الرياض، ١٩٩٧، ص ص ٦٣- ٦٤.

يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ . (القصص: ٤٨). بمعنى قال: كفار قريش هلا أوتي مثل ما أوتي موسى من العصا واليد البيضاء، وأنزلت عليه التوراة جملة واحدة، وكان بلغهم ذلك من أمر موسى ، عليه السلام قبل بعثة محمد ﷺ.

ب) النصرانية

أما فيما يتعلّق بالديانة النصرانية فقد ادعى البعض أن مكة من أحفل بلاد شبه الجزيرة العربية بالجاليات النصرانية، فمنهم التجار ومنهم الصناع ومنهم المبشرون. وكان بعضهم مقيماً فيها بينما كان البعض الآخر يقصدون إلى أسواقها في أيام المواسم للتبشير.(١٠٣) ونظراً لانتشار النصرانية بن عدد من القبائل العربية الشمالية وفي الحبشة واليمن وبالذات نجران فقد قدم من هذه الجهات إما بتشجيع بعض القرشيين للحاجة إليهم في الصناعات والحرف وإما الهروب من أماكن الاضطهاد واللجوء إلى مكة حيث رحّب بهم زعماؤها.(١٠٤)

وقد زعم المشركون أن النبي ﷺ كان يتعلم من هؤلاء النصارى ، ويقول تعالى معلقاً على ذلك: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ

(١٠٣) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٢ ؛ جواد علي، *المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج ٦ ، ص ٥٨٩ ؛ حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥١٥ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٦٠ ؛ محمد جميل بيهم، *فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم*، ص ١٤٦.

(١٠٤) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٣ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ص ١٥٩ ، ١٦٠.

ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل:

١٠٣) فقيل: إن هذا البشر قين نصراني بمكة يدعى بلعام، وقيل: هو أبو اليسر عبد لبني الحضرمي. وقيل: هو عبد لبني الحضرمي دون تحديد اسمه. وقيل: هما نصرانيان من أهل اليمن اسم أحدهما يسار والآخر جبر أو خير أو يعيش أو عائش أو عايش، وكانا يعملان السيوف. وقيل: هو غلام نصراني يدعى أبا (أو ابن) ميسرة، وقيل: هو غلام يهودي أعجمي للسان يدعى جبراً.[١٠٥] وقيل: إنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: جار وقيل: هو رجل حداد كان يقال له: يحنس النصراني. وقيل: هو غلام لبني المغيرة اسمه مقيس، وقيل: اسمه عباس، وهو غلام لحويطب بن عبد العزى.[١٠٦] وقيل: أيضاً أنه كان يتردد على رسول الله ﷺ وهو في غار حراء رجلان: يهودي

(١٠٥) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ٤٥٧؛ الألوسي، *روح المعاني*، مج. ٨، ص ٣٤٤؛ البغوي، *معالم التنزيل*، ج. ٣، ص ٩٦؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ج. ٣، ص ٤٢٠؛ الثعلبي، *الكشف والبيان (التفسير)*، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، بيروت، ٢٠٠٢، ج. ٦، ص ٤٣- ٤٤؛ جواد علي، *الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج.٦، ص ٦٠٤؛ الحاكم النيسابوري، *المستدرك*، كتاب: التفسير، تفسير سورة النحل، ج. ٢،ص ٣٨٩، رقم: ٣٣٦٣/ ٥٠٠؛ السمرقندي، *التفسير (بحر العلوم)*، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود وعبد المجيد التوتي، بيروت، ١٩٩٣، ج. ٢، ص ٢٥١؛ الشوكاني، *فتح القدير*، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، المنصورة، ١٩٩٧، ج. ٣، ص ٢٦٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج. ٤، ص ١٣١؛ الطبري، *التفسير*، ط. ٦، ١٩٦٨، القاهرة، ج.١٤، ص ١٧٨- ١٧٩؛ حمد جميل بيهم، *فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم*، ص ١٤٧؛ محمد عزة دروزة، *عصر النبي وبيئته قبل البعثة*، ص ١٥٨.

(١٠٦) ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، مج. ٢، ص ٥٨٤- ٥٨٥؛ السيوطي، *الدر المنثور*، ج. ٤، ص ١٣١؛ القرطبي، المصدر السابق، ج.١٠، ص ١٨٥- ١٨٦.

ونصراني يعلمانه. وهو بلا شك كذب بحت وادعاء لا أساس له.[١٠٧] ويفهم من هذه الآية أن بعض هؤلاء النصارى كانوا حديثي عهد بمكة وربما جاءوا قبيل البعثة النبوية فكانوا لا يزالون يتكلمون لغة عربية ركيكة أو أنهم لا يزالون يتكلمون لغتهم الأصلية.[١٠٨]

وفي سورة الفرقان (٤) يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ فربما تشير الآية على أناس من جنس الشخص الأول، وبالتالي من جالية أجنبية موجودة في مكة. وحدّد البعض أسماء هؤلاء القوم، فقيل: هو عبيد بن الخضر الحبشي، وجبر ويسار وعدّاس بن عبيد.[١٠٩] وقيل: إن هؤلاء هم يسار، مولى العلاء (وقيل : عامر) بن الحضرمي وعدّاس مولى حويطب بن عبد العزى وجبر وأبو فكيهة الرومي، وكانوا من اليهود أو كانوا من أهل الكتاب.[١١٠] ويفهم أيضاً من آيتي سورتي النحل والفرقان أن بين أفراد هذه الجالية فريقاً مميزاً في عقله وثقافته وفكره حيث لم يكن مشركو قريش لينسبوا أمراً خطيرا

(١٠٧) الألوسي، *روح المعاني*، مج. ٨، ص ٢٤٥.

(١٠٨) محمد عزة دروزة، *عصر النبي وبيئته قبل البعثة*، ص ١٥٨ ؛ أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة* ، ص ٢٥٤.

(١٠٩) ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، مج. ٣، ص ٣١٢ ؛ البغوي، *معالم التنزيل*، ج. ٢، ص ٤٣٥.

(١١٠) الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، بيروت، ١٩٧٢، ج. ٣، ص ٨١ ؛ الشوكاني، *فتح القدير*، ج. ٤، ص ٨٣ ؛ صدّيق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، مج. ٥، ص ٦ ؛ الفخر الرازي، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥، مج. ٨، ص ٤٣٣.

كتلقين النبي ﷺ وتعليمه إلى شخص أو أشخاص عاديين ليسوا على مستوى عالٍ من العلم والفهم والفكر.[١١١] كما ورد أن بعضهم كان يقرأ التوراة ويحدّث بأحاديث منها.[١١٢]

ومن خلال الآيات التالية :

١- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . (الأنعام : ٢٠).

٢- ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ (الأنعام : ١١٤).

٣- ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ . (الأعراف : ١٥٧).

٤- ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ . (يونس : ٩٤).

---

(١١١) محمد عزة دروزة، *عصر النبي وبيئته قبل البعثة*، ص ١٥٨- ١٥٩.

(١١٢) الفخر الرازي، المصدر السابق، مج. ٧، ص ٤٣٣.

٥- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الرعد: ٣٦).

٦- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ٤٣).

٧- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣).

٨- ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (الإسراء: ١٠٧).

٩- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص: ٥٢).

١٠- ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

يفهم منها:

(أ) إنه كان في مكة أناس من أهل الكتب السماوية: اليهود والنصارى ، كان منهم من اتخذ موقفاً إيجابياً من الدعوة الإسلامية الجديدة.

(ب) إنهم متفاوتون في مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية وقدراتهم النفسية فمنهم من كان ذا سعة وثروة. وأن منهم من كان قوي النفس بحيث لا يهتم ولا يبالي بلوم زعماء المشركين وأن منهم من كان أرقى من طبعة الأرقاء والعلمان.

(جـ) إن منهم من كان متميزاً في ثقافته ومعارفه الدينية وهم معروفون بالعلم لذا كان بعضهم مرجعاً لأهل مكة.

(د) اتصف بعضهم بالجرأة وعدم المبالاة بمعارضة المشركين لهم وكانوا يعلنون آراءهم بحرية وصراحة.

(هـ) ويشير إيراد قصة ولادة يحيى وعيسى، عليهما الصلاة والسلام، في الآيات المكية وإنكار ألوهية عيسى، وأنه عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله. والإشارة إلى الحرب بين الروم والبيزنطيين النصارى والفرس المجوس ثم الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد مدة من الزمن ، يدل ذلك على الصلات بين مكة والعالم الخارجي، ووجد مثل هؤلاء النصارى في المدينة المقدسة.

(و) لقد خلت الآيات المكية هذه من أي حملات على اليهود وتنديد بالمعاصرين لهم، ومن إشارة أو احتكاك أو حجاج بين النبي ﷺ وبينهم.[١١٣]

---

(١١٣) انظر: جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٤، ص ص ١٢٠- ١٢١، ج. ٦، ص . ٥٨٩ ؛ محمد عزة دروزة، *عصر النبي وبيئته قبل البعثة*، ص ص ١٦٤- ١٦٥، ١٦٩- ١٧٠، ١٧١- ١٧٢ ؛ أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٢- ٢٥٣ ؛ حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥٥٠- ٥٥٥ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٥٩. ولتفسير الآيات السابقة، انظر: ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، مج. ٢، ص ٦٩، ٣٥، ٥٠٢، ٥٦١ ؛ ابن كثير، *التفسير*، مج. ٣، ص ص ٧٦، ٦٥١، ٦٥٦، مج. ٥، ص ٢٦ ؛ البغوي، *معالم التنزيل*، ج. ٢، ص ص ١١٦، ١٥٣ ، ج. ٣، ص ٥٣٨ ؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ج. ٢، ص ص ٤٤٤- ٤٤٥، =

ويزعم البعض أن عدداً من القرشيين قد تأثّروا بالنصرانية، وتضلّعوا فيها، ووصلوا فيها إلى مراتب سامية، وأطلق عليهم ألقابا دينية نصرانية، كلقب البطريق الذي سمّى به عثمان بن الحويرث، ولقب القس الذي أطلقه على ورقة بن نوفل، ومسمى الكاهنة الذي سمّى به قتيلة أو أم قتّال بنت نوفل. ويذكر أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت أيضاً متأثّرة بالنصرانية، وأنه دفعها ذلك إلى استعمال عبيدا نصارى، منهم غلاماها ناصح وميسرة. فالأول كما يدعي أنه كان متمكنا من النصرانية وعلى علم بالكتاب. وهو الذي أخبرها عن النبي ﷺ وما له من معجزات قبل النبوة. ويقول عن الثاني[١١٤] أنه كان على علاقة بالرهبان الذي يقطنون على حدود شبه الجزية العربية ومشارف الشام وتمر عليهم قافلة قريش، ومن هؤلاء الرهبان راهب يدعى نسطورس.[١١٥] ويصل هذا الكاتب بادعائه إلى أن يقول إن العبيد النصارى في بيت السيدة خديجة هم من أفراد الحلقة الكتابية الداخلية التي أحاطت بها.[١١٦] وأنه كانت توجد حلقة أخرى خارجية متمثلة في ورقة بن نوفل ومن حوله.[١١٧]

= ج. ٣، ص ٢١٤، ٣٣٣، ٣٩٩، ٤٧١؛ الثعلبي، *الكشف والبيان*، ج.٤، ص ١٤٠، ج. ٥، ص ١٤٩، ج. ٦، ص ١٨، ج. ٧، ص ٢٥٤؛ القاسمي، *التفسير*، مج. ٣، ص ٢٩٠، ٤١٠؛ النسفي، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، ج.٢، ص ص ١١، ٢٥١، ٤١٤.

(١١٤) يقول الصالحي الشامي عن ميسرة: "لم أرَ لميسرة ذكرا في كتب الصحابة، والظاهر إنه توفي قبل البعثة، ولو أدرك النبي ﷺ لأسلم." (*سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج. ٢، ص١٦٢).

(١١٥) خليل عبد الكريم، *فترة التكوين*، ص ١٣٩- ١٤٠، ٢١٠. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج. ٤، ص ٣٨٦؛ الطبري، *التاريخ*، ج. ٢ ، ص ٢٨٧.

(١١٦) خليل عبد الكريم، *فترة التكوين*، ص ١٤٠.

(١١٧) خليل عبد الكريم، *فترة التكوين*، ص ١٤٠، ١٦٩، ١٩٦.

ونحن في هذا البحث لسنا بصدد مناقشة نصرانية ورقة بن نوفل أو السيدة خديجة بنت خويلد، وإنما نناقش وجود العبيد النصارى في مكة. مع اعتقانا أن ما ذُكر عن ديانة خديجة مجرد ادعاء لا يصح، وكذلك فإن ديانة ورقة تعتبر مجرد فرضية وادعاء خاصة أن المؤرخين والرواة مختلفون في ديانة ورقة فقد قيل: إنه كان يهوديا ثم أصبح نصرانيا وقيل: إنه كان متحنفا(١١٨) مما يشكك في نصرانيته بالطريقة التي ذكرها المؤلف. إضافة إلى ذلك فإنه وعلى الرغم من أن النصرانية كانت منتشرة بصورة عامة في عدد من القبائل العربية، وكانت مكة أحد الأماكن في شبه الجزيرة العربية التي وُجدت فيها النصرانية إلا أنها لم تصل إلى هذا الحد من التنظيم والسرية والدقة والتواصل الذي برعت فيه الحركات السرية المعاصرة.

وبالمقارنة بين الديانتين فإن النصرانية كانت أكثر تأثيراً واتباعا من اليهودية في مكة، لعدة أسباب منها:(١١٩)

١- أن مكة كانت ذات موقع تجاري مهم فهي ملتقى القوافل القادمة والذاهبة، لذا ففيها جواسيس للروم وتجار حاولوا نشر ثقافتهم النصرانية.

---

(١١٨) برهان الدين الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج.١ ، ص ٢٢٢، ٣٨٨.

(١١٩) انظر: أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٣- ٢٥٤؛ جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج.٦ ، ص ٦٠٣-٦٠٤؛ حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥١٦؛ خليل عبد الكريم، *فترة التكوين*، ص ١٤٤- ١٤٦؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ١٦٠. انظر كذلك: فكتور سحّاب، *إيلاف قريش*، ص ١٥١؛ نبيه عاقل، *تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي*، ص ٢٨٢؛ غسان عزيز حسين، *ورقة بن نوفل مبشر الرسول ﷺ*، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٥؛ محمد حامد الناصر وخولة درويش، *الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام*، ص ص ٦٣-٦٤.

٢- استحكام العداء بين فرق النصارى، وتضييق الخناق على الأبيونيين واليهود المتنصرين والنصارى الموحدين أدى إلى لجوء أعداد منهم إلى مكة. وربما قاموا بالتعبير عن ثقافتهم النصرانية، وانتهز بعضهم فرصة الأسواق التي تقام بمناسبة الحج، ومنهم من اتخذ مهنة الطب وسيلة لجذب أهل مكة.

٣- التسري بالإماء الروميات واليونانيات النصرانيات.

٤- وجود أعداد كبيرة من العبدان النصارى في بيوت أثرياء مكة استخدام أسيادهم في شتى مجالات الخدمة. وربما كان بعضهم على درجة لا بأس بها من الثقافة الدينية مع إجادته القراءة والكتابة. وربما كان منهم من يقص على سادته ما حفظه من أخبار الماضين من الأمم العابرة.[١٢٠] وكان منهم ذوي الكفاءة والبراعة في المعرفة والصناعة.[١٢١]

أمثلة من النصارى الموجودين والقادمين لمكة

ومن أمثلة النصارى القادمين إلى مكة ما رواه أبو نعيم وابن عساكر من طريق المسيب بن شريك عن محمد بن شريك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان بمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيس (عيصى) وكان الله قد آتاه الله علما كثيراً وكان يلزم صومعة له ويخل مكة فيلقى الناس، ويقول : يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه، فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته، وبالله (أو تالله) ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن (أو ولا) حللت أرض البؤس والخوف إلا في طلبه. فكان ل يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه

(١٢٠) حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥١٥. انظر كذلك: أبو موسى الحريري، *المسيحية في ميزان المسلمين*، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٥، ٥٦، ٦٢.

(١٢١) حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥١٦، ٥٣٥.

فيقول: ما جاء بعد، فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب حتى عيص فوقف على أصل صومعته فناداه فقال: من هذا؟ فقال: أنا عبد المطلب، فأشرف عليه فقال: كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث ويوم الاثنين وإن نجمه طلع البارحة، وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكي ثلاثاً ثم يعافى، فاحفظ لسانك فإنه لم يحسد حسده أحد، ولم يبغ على أحد كما يُبغى عليه. قال: فما عمره؟ قال: إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها في الستين أو إحدى وستين أو ثلاث وستين أعمار جل أمته.[١٢٢]

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه: بينما عبد المطلب يوما في الحجر. وعنده أسقف نجران وكان صديقاً له وهو يحادثه ويقول : إنّا نجد صفة نبي بقي من ولد إسماعيل، هذا البلد مولده من صفته كذا وكذا، وأتى رسول الله ﷺ فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره، وإلى قدميه ..... ثم قال عبد المطلب لبنيه: تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه.[١٢٣] وروي أنه كان بعسفان بالقرب من مكة كاهن غساني هو

(١٢٢) انظر: ابن كثير، *السيرة النبوية*، ج. ١، ص ٢٢٢- ٢٢٣؛ أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٣؛ السيوطي، *الخصائص الكبرى*، تحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة، ١٩٦٧، ج. ١، ص ١٢٥؛ الصالحي الشامي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج. ١، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(١٢٣) السيوطي، *الخصائص الكبرى*، ج. ١، ص ٢٠٢؛ المقريزي، *إمتاع الأسماع*، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، ١٩٩٩، مج. ٤، ص ٩٧. وقد علّق محقق كتاب *الخصائص* على هذه القصة بقوله: "ما الذي يجمع بين رجل من عبدة الأوثان وبين رجل نصراني وهو أسقف نجران؟ وإذا كان أعمامه قد سمعوا مقالة الأسقف فيه، ووصية أبيهم، فلماذا تخلّف أكثرهم عن الدخول في دينه لاسيما عمه أبو طالب الذي كان من أشد الناس حدبا عليه، أيظن هؤلاء الرواة أن ليست لنا عقول". *الخصائص الكبرى*، ج.١، ص ٢٠٢، ح.(١).

الذي احتكم إليه هاشم بن عبد مناف ، وابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عندما تنافرا.[١٢٤] ويروى أيضاً أن شماساً زار مكة في الجاهلية.[١٢٥]

وذكر ابن فهد المكي أن القرشيين بعدما هدموا الكعبة وجدوا في حجر من الأساس كتابا، فدعوا له رجلاً من أهل اليمن، وآخر من الرهبان، فإذا فيه: أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السماوات والأرض والشمس والقمر، ويوم صغت هذين الجبلين، وصغتهما يوم صغت الشمس والقمر، وجففتهما بسبعة أملاك حنفاء، وجعلت رزق أهل مكة من ثلاثة سبل، لا يحلها أول من أهلها ....[١٢٦] ولقد ذكرنا سابقا أن هذه الألفاظ كتبت بالسريانية، وأن القارئ لها حبر من اليهود. وقد علّق البعض على ما ذكر من ورود أناس من الأساقفة والشمامسة والكهان أنهم مجرد أشخاص مصطنعين أُوجِدوا لإعطاء حياة للروايات.[١٢٧]

الفرق النصرانية في مكة

ونظرا لانقسام النصارى إلى فرق متعددة ، وكما وصفهم البعض أنهم: لا يزالون في شقاق وخلاف وبغضاء وعداوة وحروب. وأنهم أشد الأمم افتراقاً في دينهم.[١٢٨] فقد وجدت في مكة عدد من الفرق النصرانية، هي:

---

(١٢٤) أبو البقاء الحلي، المصدر السابق، ج.١ ، ص ٧٤.

(١٢٥) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة* ، ص ٢٥٣ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، *مكة في عصر ما قبل الإسلام*، ص ٩٢.

(١٢٦) *إتحاف الورى*، ج.١ ، ص ١٥٤.

(١٢٧) جورج شحاته قنواتي، *المسيحية والحضارة العربية*، بيروت، ١٩٤٨ ، ص ٥٩.

(١٢٨) ابن القيم الجوزية، *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكة، ١٤١٥ هـ، ص ٢٩٦ ؛ أحمد محمد شاكر، حكم *الجاهلية*، القاهرة، ١٩٩٢ ، ص ١٨٥-١٨٦.

١- الأبيونية (Ebionisme) التي تندرج تحت مسمى اليهودية – النصرانية، وهم قسمان: أولاهما تعتبر المسيح، عليه السلام، مجرد إنسان عادي بلغ مرتبة الصلاح بفضل تنامي شخصيته. ولد من مريم وزوجها مثل أي مولود آخر. والثانية تؤمن بأن المسيح عليه السلام ولد من عذراء والروح القدس ، وهو ليس إلها، وليس هو الكلمة والحكمة، ويعتمد الأبيونيون إنجيل العبرانيين. أو يعتمدون إنجيل متى وهو المسمى بإنجيل العبرانيين. ولهم طقوس خاصة بالعبادة والطهارة والذبح والصلاة والاغتسال . وقد هاجر جزء كبير منهم إلى الحجاز بعد عام ٧٠ م.(١٢٩)

٢- القيرنثية (Cerinthisme) التي تنسب إلى مؤسسها قيرنث، وتتميز بقولها أن ملكوت المسيح السماوي هو على مثال ملكوته الأرضي. وترى أيضاً أن للمسيح دور في تحرير شعبه من الحكم الروماني والأجنبي، وتعتبر أن مهمته في الحياة هي سياسية واجتماعية لا روحية فدائية. وترى هذه الفرقة بأن الجنة السماوية هي متاع الجسد وشهواته.(١٣٠)

---

(١٢٩) أبو موسى الحريري، *قس ونبي*، ص ٢٥-٢٦ ؛ نهاد خياطة، *الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام*، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٧٧. وسبب هجرة أعداد من اليهود إلى الحجاز في عام ٧٠ م. يعود إلى قيام القائد الروماني المشهور تيطس بتدمير بيت المقدس، وإجلاء أعداد كبيرة من اليهود منها. (لمزيد من التفاصيل انظر مثلا: جون ولكنسون، "القدس تحت حكم روما وبيزنطة: ٦٣ ق.م.- ٦٣٧ م." في *كتاب القدس في التاريخ*، تحرير وترجمة: كامل جميل العسلي، عَمان، ١٩٩٢، ص ١٠٤- ١٠٥ ؛ محمد بيومي مهران، *بنو إسرائيل: التاريخ*، ج. ٢، ص ١٠١٩- ١٠٢١ ؛ محمود نعناعة، *تاريخ اليهود*، عَمان، ٢٠٠١، ص ٥١٦- ٥٢٣ ؛ Goodman, M., *The Ruling Class of Judaea*, *Cambridge*, 1995, passim.)

(١٣٠) أبو موسى الحريري، *قس ونبي*، ص ٢٦.

٣- الكسائية (Elaxaisme) المنسوبة إلى Elxai، ويعرف أتباعها بأهل العلم، ويعتقدون أن المسيح بشر كسائر البشر. ولأتباعها أفكار خاصة تتمحور حول شخصية المسيح والملاك جبريل.(١٣١)

وبصورة عامة فإن هذه الفرق الثلاث تتفق على إنكار ألوهية المسيح، وتعتبره نبياً بشراً، وهذه الفرق وُجد لها أتباع في مكة من العبيد، ومن عدد من القرشيين المؤمنين بالنصرانية، مع كثرة أعداد أتباع الفرقة الأبيونية.(١٣٢)

آثار نصرانية

قيل إنه: كانت توجد في مكة مقبرة للنصارى، كما كان يوجد على طريق الحج إلى عرفات مكان يعرف بموقف النصراني. وربما شارك بعض النصارى العرب في مناسك الحج.(١٣٣)

و ادعى البعض أن رمزَي النصرانية: وهما تمثالا عيسى وأمه، كانا موجودين في مكة، وأن النبي ﷺ عاملهما معاملة خاصة إذ أمر بمحو صور كافة الأنبياء بمن فيهم إبراهيم، ما عدا صورة عيسى وأمه، وظل التمثالان قائمين طوال العهدين النبوي والراشدي حتى عهد عبد الملك بن مروان. ولولا ضرب الكعبة المنجنيق بواسطة الحجاج بن يوسف الثقفي لظل التمثالان قائمين ربما حتى الآن. وقيل إن: هذين التمثالين يدلان

(١٣١) أبو موسى الحريري، قس ونبي، ص ٢٦- ٢٧.

(١٣٢) أبو موسى الحريري، قس ونبي، ص ٢٧.

(١٣٣) عرفان شهيد، "*المسيحية قبل ظهور الإسلام*"، في المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير: حبيب بدر وسعاد سليم وجوزيف أبو نهرا، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ Shahid, I., op.cit.,p.390

على الوجود العريض الثقيل للنصرانية في الحجاز.[١٣٤] ويفهم من قصة بناء الكعبة على أيدي القرشين أن وضع صور الأنبياء ومنها صور عيسى ومريم، عليهما السلام، قد تم بعد بناء قريش للكعبة.[١٣٥] مما يعني أن الكعبة كانت خالية من هذه الصور من قبل ذلك. أو ربما أنهم أعادوا رسمها وتصويرها بعد إعادة بنائها بمساعدة من الأقباط والروم.[١٣٦]

ولكن الصحيح أن هذه الصور قد أُزيلت بعد فتح مكة ولا حجة للروايات التي ادعت إبقاء النبي ﷺ لصورة مريم وابنها في حين أنه أمر بإزالة بقية الصور ومنها صور لإبراهيم وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، فهو ﷺ لا يقر منكرا مهما كان، وقد امتنع من دخول البيت والتماثيل فيه. وهذا يدل على أن الرسول ﷺ قد اتخذ موقفا واضحا وصريحا من كل الصور.[١٣٧]

ولا نرى أن النصرانية قد انتشرت في مكة، ولم يكن في مكة أسقف نصراني بل الراجح أن المكيين قد قاوموا اعتناق النصرانية بسبب كون مكة مركزاً تجارياً مزدهراً ذا

---

(١٣٤) أبو موسى الحريري، *قس ونبي*، ٢٠٦ ؛ خليل عبد الكريم، *فقرة التكوين*، ص ص ١٤٩-١٥٠. انظر كذلك: الأزرقي، المصدر السابق، ج.١، ص ١٦٥ ؛ جواد علي، *المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج .٦، ص ٦٠٧.

(١٣٥) الذهبي، *السيرة النبوية*، ص ٧٢.

(١٣٦) إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر النبوي*، ص ٥٧.

(١٣٧) ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، تحقيق: ابن باز وعبد الباقي، بيروت، ١٩٨٩، ج. ٨، ص ٢١ ؛ ابن الضياء المكي، *تاريخ مكة المشرفة والمدينة والقبر الشريف*، ص ١٠٠-١٠١ ؛ الأزرقي، المصدر السابق، ج.١، ص ١٦٥-١٦٦، ح. (٥)؛ الذهبي، *السيرة النبوية*، ص ٧٤، ح. (٢)؛ غسان عزيز حسين، *ورقة بن نوفل مبشر الرسول صلى الله عليه وسلم*، ص ٢٧-٢٨ ؛ نبيه عاقل، *تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي*، ص ٢٦٧ ؛ Shahid, I., Byzantuim and the Arabs in the 5th Cent., Washington, 1989 , pp. 391-392

مصالح، ومركزاً دينياً كانت الديانة الوثنية مسيطرة عليه. كما كانت النصرانية ترتبط بالدولة البيزنطية سياسياً وعسكرياً، وهذا ينفر منه المكيون.(١٣٨)

(ج) الزندقة

ومن الديانات الغريبة التي قيل: إنها وجدت في مكة، الزندقة، إذ ورد بأن بعض القرشيين كأبي سفيان بن حرب وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلق الجمحي والنضر بن الحارث ومنبه ابنا الحجاج السهميان والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة المخزومي قد تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة.(١٣٩) والزندقة مصطلح غير واضح المدلول عند الرواة والأخباريين، ويحتمل أنها تعني النور والظلام، وربما تعني أيضاً الدهرية. وتدل أسماء القرشيين المؤمنين بالزندقة على أنها أسماء لامعة ف المجتمع المكي. وتشير أيضاً إلى أن أفكار الزندقة لم تكن منتشرة بين العامة، وإنما هي بن الأرستقراطية المكية فقط.(١٤٠) ولم يذكر أين تعلموها هل في الحيرة نفسها أم أثناء زيارة بعض نصارى الحيرة لمكة؟ أو ربما بسبب وجود بعض العبيد من الفرس ، وغيرهم من المؤمنين بهذه الأفكار. ويحتمل أن المقصود بالزندقة مجرد مبادئ المانوية أو المزدكية التي آمنت بها طوائف من المجتمع الفارسي، فربما فرّ عدد من أتباعها إلى مكة بعد اضطهادهم على أيدي ملوك فارس.

---

(١٣٨) عرفان شهيد، المرجع السابق، ص ٤٤٠ ؛ Shahid, I., op.cit, p. 391

(١٣٩) ابن حبيب، *المحّبر*، باعتناء: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٦١.

(١٤٠) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، *الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية في كتاب: الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين*، ص ١٣.

(د) الصابئة

ومن الديانات الصابئة أو المندنائية، وهما تسميتان لمسمى واحد، ويعتبر القرآن الكريم أقدم وأوثق مصدر وردت فيه تسمية الصابئة بمدلولها الديني.(١٤١) ومن المعاني اللغوية للفظة "صبا" صبغ، والكلمة بهذا المعنى واردة في اللغة الأكادية: "صيبو" و "صيبو تم" و "صبأ" تعني غمس في الماء من أجل أن يتطهر ويدخل في دين الصابئة بمعنى تعمد.(١٤٢) وكان الصابئة في عهد رسول الله ﷺ فئة على دين خاص كاليهود والنصارى، وكلمة: "صبا " غير مهموزة تعنى في اللغة المندنائية الآرامية: التعميد أو التطهير بالماء. وكان الصابئة يعظمون الكعبة. ولهم العديد من الطقوس والعبادات ولهم عناية بالفلك.(١٤٣) ونظرا لتعظيمهم للكعبة المشرفة خاطبهم القرآن الكريم باسمهم.

وقال البعض أن الصابئين المذكورون في القرآن هم ليسوا الصابئة المعروفون، بل هم فرقة من فرق النصارى التي عاصرت الرسول ﷺ ، ولقد رحب هؤلاء بالإسلام ولم يقفوا معارضين له.(١٤٤)

من أسماء غير العرب في مكة

سنستعرض عدداً من الأسماء المعروفة التي حفظتها لنا المصادر مع ملاحظة أن كثيراً من هذه الشخصيات دخلت في الإسلام بعد ذلك ، وممن عرفت دياناتهم ، ولم تعرف أعراقهم:

---

(١٤١) محمد الجزائري، *المندائيون الصابئة*، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٠.

(١٤٢) محمد الجزائري، *المندائيون الصابئة*، ص ٩٤.

(١٤٣) محمد الجزائري، *المندائيون الصابئة*، ص ٥٢-٥٣.

(١٤٤) محمد الجزائري، *المندائيون الصابئة*، ص ٥٤.

ثويبة، مولاة أبي لهب، أول مرضعة للنبي محمد ﷺ وقد أرضعته بلبن ابنها مسروح قبل مجيىء حليمة، ولقد كان رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة وكانت السيدة خديجة تكرمها، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ يرسل إليها كسورة وصلة. وتوفيت حوالي ٧ هـ، واختُلِف في إسلامها.(١٤٥) وذكر ابن فهد أنها أسلمية.(١٤٦) وكان في مكة من النصارى الموال : عدّاس غلام عتبة بن ربيعة.(١٤٧)

أما الأعراق الأخرى فيمثّل الأحباش نسبة كبيرة من العبيد والموالي في مكة ولا يعرف من أسمائهم إلا القليل. ومن الأحباش الذين سلموا من جيش أبرهة ولم يذهب بل بقي في مكة سائس الفيل وقائده، فعن عائشة رضي الله عنها أنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين معقدين يستطعمان الناس . واسم سائس الفيل أنيسان (أو أنيس).(١٤٨) ورُوي كذلك عن أسماء بنت أبي بكر أنها هي أيضا رأت قائد الفيل وسائسه

---

(١٤٥) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٦٠ ؛ ابن سعد، *كتاب الطبقات الكبير*، ج. ١، ص ٨٧-٨٨ ؛ السهيلي، *الروض الأُنف*، ج. ١، ص ٢٨٥ ؛ فؤاد صالح السيّد، *معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين*، ٢٠٠١، ص ١٤٩-١٥٠ ؛ مغلطاي، *الإشارة إلى سيرة سيدنا محمد المصطفى* ﷺ، تحقيق: آسنا كليبان علي بارح، بيروت، ٢٠٠٣، ص ص ١١٢-١١٣.

(١٤٦) *إتحاف الورى*، ج. ١، ص ٥٤ ، ٥٧.

(١٤٧) ابن الأثير، *أُسد الغابة* ، مج. ٣، ص ٥٠٠ ؛ أبو نعيم الأصفهاني، *معرفة الصحابة*، ج. ٤، ص ٢٢٦٢، رقم: ٢٣٧٧.

(١٤٨) ابن كثير، *التفسير*، مج.٦، ص ٥٤٢ ؛ المؤلف نفسه، *البداية والنهاية*، مج.١، ج. ٢، ص ١٩١ ؛ الأزرقي، المصدر السابق، ج. ١، ص ١٤٩ ؛ برهان الدين الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج. ١، ص ص ١٠٠-١٠١ *السيرة الحلبية* ؛ البيهقي، المصدر السابق، ج. ١، ص ١٢٥. وعلّق محقق *الروض الأنف* على هذا الحديث بقوله: أخرجه البزار ورجاله ثقات، فاله في المجمع. (*الروض الأنف*، ج. ١، ص ١٣٢، ح. (١). وانظر كذلك تخريج تعليق محققي *كتاب السيرة النبوية* لابن هشام. (ج.١، ص ١٠٧، ح. [٢٨].)

مقعدين، يستطعمان الناس عند إساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم.[١٤٩] ومن الأحباش أيضا شقران واسمه صالح بن عدي وهو من أصل جبشي، ويقال: فارسي. مولى رسول الله ﷺ، وكان قد ورثه من أبيه. وقيل: كان عبداً لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي ﷺ، وقيل: بل اشتراه منه وأعتقه.[١٥٠] وحاضنته ﷺ هي أم أيمن الحبشية الأصل، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وكان ورثها من أبيه. وقيل: إن عبد الله والد النبي ﷺ قد أعتقها. وهي من أوائل من أسلم وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة.[١٥١] وقيل: إن اسمها برة.[١٥٢] وعلى الرغم من أن أصلها حبشي كما ذُكر إلا أن نسبها يدل على أصها العربي. وزوجها عبيد الحبشي والد أيمن بن أم أيمن.[١٥٣] ولقد صرّح البعض بأنها من الحبشة دون الإشارة إلى نسبها.[١٥٤]

---

(١٤٩) ابن كثير، *التفسير*، ج. ٦، ص ٥٤٢.

(١٥٠) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٢، ص ٣٩٢؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت، ١٩٩٥، ج. ٢، ص ٢٦٦؛ ابن قانع، المصدر السابق، ج. ٧، ص ٢٥٤٠، رقم: ٤٣٨؛ مغلطاي، *الإشارة*، ص ٢٥٨؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٣٠.

(١٥١) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٣٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج. ٨، ص ٣٥٨-٣٥٩؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٤، ص ٣٥٦؛ المحب الطبري، *كتاب خلاصة سير سيد البشر ﷺ*، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكة، ١٩٩٧، ص ٣١، ٣٢.

(١٥٢) ابن شاكر الكتبي، *السيرة النبوية الشريفة*، ص ١٠.

(١٥٣) ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ١، ص ٢١٦، ج. ٤، ص ٣٥٦.

(١٥٤) أبو نعيم الأصفهاني، *معرفة الصحابة*، ج. ٦، ص ٣٤٢٩، رقم: ٤٠٤٩؛ الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، بيروت، ١٩٨٨، ج. ٩، ص ٢٥٩.

كما كان بمكة رجل حبشي اسمه أبرهة بن الصباح الحبشي أو الحميري، وقد أسلم هذا الرجل، وذُكر أن أمه بنت أبرهة الأشرم.(١٥٥) والظاهر أنه لم يكن عبداً لأحد من سادة قريش إذ يقول ابن حجر العسقلاني أنه: "أسلم ولم تصبه منة لأحد". ويحتمل أنه كان في جيش أبرهة لما غزا الكعبة وسلم من الهلاك وبقي في مكة. وحمامة وكانت فيمن يعذب في الله فاشتراها أبو بكر فأعتقها. وهي أم بلال بن رباح.(١٥٦) وأبو فكيهة واسمه أفلح، وقيل: يسار وكان عبداً لصفوان بن أمية، أسلم حين أسلم بلال بن رباح، وكان ممن يعذب فمر به أبو بكر فاشتراه فأعتقه.(١٥٧) ونبعة الحبشية جارية أم هانئ.(١٥٨) وأم عبيس (أو أم عبس) أحد من كان يعذبه المشركون ممن سبق إلى الإسلام، قيل: هي زوجة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولدت له عبيساً وقيل: كانت أمَة لبني تيم بن مرة أو لبني زهرة، اشتراها أبو بكر ثم أعتقها.(١٥٩) وسمية بنت خباط، مولاة أبي

---

(١٥٥) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ١٧٥.

(١٥٦) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٧٢؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٨٨؛ ابن كثير، *الفصول في سيرة الرسول ﷺ*، تحقيق: محمد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دمشق / المدينة، ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ، ص ٩٩. ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٢٨٢؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٣٣١.

(١٥٧) ابن شاكر الكتبي، *السيرة النبوية الشريفة*، ص ٩٢.

(١٥٨) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٢٨٢؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٣٣١.

(١٥٩) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٣٧٧- ٣٧٨؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٤٣٤؛ ابن كثير، *الفصول في سيرة الرسول ﷺ*، ص ١٠٠؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٩٦.

حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والدة عمار بن يسار، وهي التي عذبها أبو جهل ثم قتلها وكانت ممن سبق إلى الإسلام.(١٦٠)

ومن الأحباش الذين أسلموا أنجشة الأسود الحادي الذي كان حسن الصوت بالحداء ،وكنيته: أبو مارية. وهو الذي قال له الرسول ﷺ: رويدك سوقك بالقوارير.(١٦١) وكان من موالي النبي ﷺ غلاما حبشيا يدعى أنسه أو أبو أنسة، وقيل: أبو مسروح، أو أبو مسرح، شهد بدراً وأعتقه النبي ﷺ بالمدينة. وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق.[١٦٢] ونابل الحبشي والد أيمن بن نابل، مولى آل أبي بكر.(١٦٣) ووحشي بن حرب مولى طعيمة بن عدي وقيل: مولى أخيه المطعم. يكنى أبا سلمة، وقيل: أبا حرب وقيل: أبا دسمة.(١٦٤) وحنبل بن المليك

(١٦٠) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ١٥٥- ١٥٦؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ١٨٩- ١٩٠؛ ابن كثير، *الفصول في سيرة الرسول ﷺ*، ص ٩٩.

(١٦١) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ١٦٨- ١٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج.١، ص ٢٦٩؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج.١، ص ٢٢٦؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٢٣.

(١٦٢) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ١٨٣- ١٨٤؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ١، ص ٢٨٣- ٢٨٤؛ المحب الطبري، *كتاب خلاصة سير سيد البشر ﷺ*، ص ١٥٤؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٣٤.

(١٦٣) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٤، ص ٤٩٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج. ٦، ص ٣١٤؛ خليفة بن خياط، *كتاب الطبقات*، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض، ١٩٨٢، ص ٢٨٣؛ الذهبي، *تجريد أسماء الصحابة*، ج. ٢، ص ١٠٠؛ الفاسي المكي، العقد الثمين، تحقيق: محمد عبد القادر عظا، بيروت، ١٩٩٨، مج. ٣، ص ٢٢٠.

(١٦٤) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج . ٤، ص ٦٣٨؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٦، ص ٤٧٠؛ ابن قانع، المصدر السابق، ج. ١٥، ص ٥٢٤٥، رقم: ١١٦١؛ أبو نعيم الأصفهاني، معرفة الصحابة، ج. ٥، ص ٢٧٣٣، رقم : ٢٩٧١. حسّان بن ثابت، الديوان، ص ١٠٨-١٠٩.

الحبشي، مولى معمر بن حبيب بن وهب، زوج صفوان بن أمية الجمحي.[١٦٥] وأيمن بن عبيد الحبشي، ابن أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وهو أخو أسامة بن زيد لأمه وهو أكبر من أسامة. وهو من الذين ثبتوا مع النبي ﷺ في حنين واستشهد فيها.[١٦٦]

وأشهر الأحباش الذين أسلموا بلال بن رباح المؤذن، وهو بلال بن حمامة، وهي أمه. وكان أبو رباح سبياً، وكان بلال من مولدي السراة، وقيل: من مولّدي بني جمح في مكة، وأمه كذلك سبيّة. وقد كان عبداً لأمية بن خلف الجمحي الذي كان يعذبه بعد إسلامه، فاشتراه منه أبو بكر بعبد له أسود جلد. وكان بلال شديد الأدمة نحيفاً طوالاً أجنأ، له شعر كثير خفيف العارضين.[١٦٧] وقيل: إنه نوبي الأصل.[١٦٨] ولبلال أخ أسمه خالد وكنيته أبو رويحة،[١٦٩] وله أخت تدعى غفرة أو غفيرة.[١٧٠]

---

(١٦٥) حسّان بن ثابت، *الديوان*، ص ١٠٨-١٠٩.

(١٦٦) ابن حجر العسقلاني، *تهذيب التهذيب*، مج. ١، ص ٣٩٥؛ الذهبي، *تجريد أسماء الصحابة*، ج. ١، ص.٤١؛ الفاسي المكي، *العقد الثمين*، مج. ٣، ص ٢١٨-٢١٩.

(١٦٧) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ٢٨٣؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج.١، ص ٤٥٥-٤٥٦؛ ابن شاكر الكتبي، *السيرة النبوية الشريفة*، ص ٨٨؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ١، ص ٢٥٨- ٢٥٩؛ ابن عساكر، المصدر السابق، مج. ٢٤، ص ٤٣٣، ٤٣٥؛ ابن قتيبة، *المعارف*، ص ١٧٦؛ ابن موسى الأنصاري التلمساني، *الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة*، تحقيق: محمد ألتونجي، (مركز زايد للتراث والتاريخ)، العين، ٢٠٠١، ج. ٢، ص ١٢٦؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ١٨٤.

(١٦٨) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٧، ص ١٢٥.

(١٦٩) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ٦٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٢، ص ١٩٩. ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج .٦، ص ٢١٣؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٢٥٥؛ ابن موسى الأنصاري التلمساني، المصدر السابق، ج. ٢، ص ١٢٧.

ومن الروم أبو يحيى صهيب بن سنان بن مالك. ويقال: خالد بن عبد عمرو بن عقيل. ويقال: طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر قاسط النمري. وهو الرومي، قيل: له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً. ولقد كان أبوه وعمه على الأُبُلّة من جهة كسرى، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل. ونشأ صهيب بالروم فصار ألكن ثم اشتراه رجل من كلب فتاعه بمكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه. ويقال: بل هرب من الروم، ومعه مال كثير فقدم مكة فحالف ابن جدعان. وقيل: كان اسمه عميرة فسماه الروم صهيباً. وكان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة، كثير شعر الرأس. وعن أنس وأبي أمامة وأم هانئ عن رسول الله ﷺ: السُّبّاق أربعة: أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق الفرس.(١٧١) وفي رواية: بلال سابق الحبشة وصهيب سابق الروم.(١٧٢)

(١٧٠) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ٢١٣؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٢٥٥؛ ابن موسى الأنصاري التلمساني، المصدر السابق، ج. ٢، ص ١٢٧.

(١٧١) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ١، ص ٤٣٣- ٤٣٤؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٣، ص ٣٦٤- ٣٦٥؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٢، ص ٢٨٢- ٢٨٥؛ ابن عساكر، المصدر السابق، مج. ٢٤، ص ٢٢٠- ٢٢١؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ١٨٠- ١٨١؛ المتقى الهندي، كنز العمال، بيروت، ١٩٧٩، ج. ١١، ص ٤٠٨، رقم: ٣١٩٠٩. وعلّق عليه المتقى الهندي بقوله: رواه البزار والطبراني عن أنس، والطبراني عن أم هانئ، وابن عدي في الكامل عن أبي أمامة. وقال ابن حجر الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زادان، وهو ثقة، وفيه خلاف. وحديث أم هانئ: رواه الطبراني وفيه فايد العطّار، وهو متروك، وحديث أبي أمامة: رواه الطبراني، وإسناده حسن. (الهيثمي، المصدر السابق، ج. ٩، ص ٣٠٥).

وهذا الحديث يؤكد الأصل غير العربي لصهيب ويدل على روميته. ويدل على روميته أيضاً أنه كان في لغته عجمة شديدة.[١٧٣] وقد لقّبه أبو نعيم بسابق الروم.[١٧٤] ورُوي عنه ﷺ أنه قال: خير الروم صهيب.[١٧٥] وتدل لفظة صهيب المشتقة من الصهبة على الأصل الرومي له إذ تعني لون حمرة أو شفرة في شعر الرأس، ويقال: للروم صهباً لأن الصهوبة فيهم.[١٧٦] إضافة إلى ذلك أن أشراف قريش كانوا يأتون النبي ﷺ وعنده بلال وصهيب وغيرهما، فيقولون: بلال حبشي وصهيب رومي فلو نحّاهم لأتيناه.[١٧٧] وهذا دليل على اشتهار الأصل الرومي لصهيب.

ومن الروم رجل يدعى الأزرق غلام الحارث بن كلدة، وكان حداداً ومقيماً في الطائف بعد مغادرته مكة.[١٧٨] ونسطاس (أو أنستاس) مولى صفوان بن أمية أو مولى أمية بن خلف، شهد أُحداً مع المشركين ثم أسلم.[١٧٩] ونسطاس،[١٨٠] وربما هما واحد. ومنهم

---

(١٧٢) ابن عساكر، المصدر السابق، مج. ٢٤، ص ٢٢١؛ المتقي الهندي، المصدر السابق، ج. ١١، ص.٦٥٦، رقم: ٣٣١٧٢. وعلّق عليه المتقي الهندي بقوله: رواه ابن أبي شيبة، وابن عساكر عن الحسن مرسلا، وسنده جيد.

(١٧٣) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٢، ص ٤٣٥.

(١٧٤) *معرفة الصحابة*، ج. ٣، ص ١٤٩٦، رقم: ١٤٥٠.

(١٧٥) الجاحظ، *المحاسن والأضداد*، ص ١٥٠.

(١٧٦) ابن منظور، *لسان العرب*، ج. ١، ص ٥٣٢؛ خليفة محمد التليسي، *النفيس من كنوز القواميس*، طرابلس، ج. ٢، ص ١٢٦٨؛ نشوان الحميري، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق: حسين العمري وآخران، دمشق، ١٩٩٩، ج. ٦، ص ٣٨٤٣.

(١٧٧) ابن عساكر، المصدر السابق، مج. ٢٤، ص ٢٢٥.

(١٧٨) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ١٩٠؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ١٥٧. ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨، ص ٣٣٦، ٣٩٠.

(١٧٩) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٦، ص ٣٣٦، ٣٩٠.

يوحنا غلام ضهيب الرومي.[١٨١] وغلام رومي كان غلاما لعبد الله بن خطل، وكان قد أسلم وهاجر مع ابن خطل. ثم أرسل رسول الله ﷺ ابن خطل من غلامه أن يصنع له طعاماً فنسي، فقتله وارتد ورجع إلى مكة.[١٨٢] ومن الروم كما قيل: ديسم بن صقعب غلام آل شجع من بنى عذرة. وقد عيّره الصحابي الشاعر حسان بن ثابت بهذا النسب بقوله:

وأنت عبد لقين لا فؤاد لـــه من آل شَجع هناك اللؤم والخور[١٨٣]

ومن الروم أيضاً التاجر قمطة الرومي الذي كان بمكة وله ثروة عظيمة وقد أهدى إلى حليفة نبيه بن الحجاج قويصرة مملوءة فضة عندما تزوج نبيه من ابنته قميطة. واتخذ نبيه تلك الفضة رأس مال لتجارة درت عليه الأرباح الوفيرة.[١٨٤] وزنيرة، وكانت من السابقات إلى الإسلام وممن يعذب في الله، فاشتراها أبو بكر ثم أعتقها. كانت رومية الأصل وكانت مولدة لبني نهد بن زيد.[١٨٥]

---

(١٨٠) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٦ ، ص ٣٩٠.

(١٨١) أبو موسى الحريري، *المسيحية في ميزان المسلمين*، ص ٦٠- ٦١ ؛ جواد علي، المرجع السابق، ج. ٤، ص ١٢١- ١٢٢، ج. ٦، ص ٦٠٥ ؛ حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥١٥ ؛ Trimingham, J.S., op.cit ., p. 360

(١٨٢) ابن شاكر الكتبي، *السيرة النبوية الشريفة*، ص ٤٢٥. انظر كذلك: ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ٤، ص ٢٤.

(١٨٣) حسّان بن ثابت، *الديوان*، تحقيق وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٦٥.

(١٨٤) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام: *دورها السياسي والاقتصادي والديني*، ص ٧٥.

(١٨٥) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٦، ص ١٢٧ ؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٨ ، ص ١٥٠- ١٥١ ؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج. ١ ، ص ٣٤٢ ؛ أبو نعيم الأصفهاني، *معرفة الصحابة*، ج.٦، ص ٣٣٤٥، رقم: ٣٨٩٣ ؛ البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ١٩٦.

ومنهم عداس النصراني من أهل نينوى غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة. ولقد كان في مكة، وهو الذي التقاه النبي ﷺ في الطائف.(١٨٦)

ومن الأقباط أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، يقال: اسمه إبراهيم ويقال: أسلم وقيل: سنان صالح وقيل: عبد الرحمن وقيل: فزمان أو يزيد أو ثابت وقيل: هرمز. وذُكر أنه كان غلاماً للعباس بن عبد المطلب، فوهبه للرسول ﷺ.(١٨٧) ومن الفرس أبو كبشة، مولى رسول الله ﷺ، واسمه سليم وقيل: سلمة أو أوس. وقيل: هو من مولدي أرض دوس، وقيل: من مولدي مكة، ابتاعه رسول الله ﷺ فأعتقه.(١٨٨)

ولبيبة، وقيل: لبينة وهي جارية بني المؤمل (أو مؤمل) بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وكانت أحد من يعذب من المستضعفين فاشتراها أبو بكر ثم أعتقها. وقد وردت في أغلب الروايات غير مسماه(١٨٩) وسماها البلاذري لبينة.(١٩٠)

---

(١٨٦) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٤، ص ٣٨٥- ٣٨٦.

(١٨٧) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٥، ص ١٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٧، ص ١١٢-١١٣؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ١ ، ص ١٧٧، ج. ٤، ص ٢١٩؛ ابن قانع، المصدر السابق، ج. ٢، ص ٤٢٤، رقم: ٣٨؛ أبو نعيم الأصفهاني، *معرفة الصحابة*، ج. ٥، ص ٢٨٨٦، رقم: ٣٢٠١؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٣١.

(١٨٨) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٥، ص ٢٦٣؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج. ٧، ص ٢٨٤؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٤، ص ٣٠١؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج.٢، ص ٧٦، ٢٦٧؛ خليفة بن خياط، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ص ٨؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج. ١٧، ص ٢٣٠.

(١٨٩) ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، ج.٨، ص ٣٠١؛ ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، ص ٩٢.

(١٩٠) البلاذري، *أنساب الأشراف*، ص ١٩٥.

ومن المولّدين النهدية وبنتها اللتان كانتا من المسضعفين المعذبين، ولقد كانتا مولدتين لبني فهد بن زيد، ثم صارتا لامرأة من بني عبد الدار ولما أسلمتا قامت بتعذيبهما، فاشتراهما أبو بكر ثم أعتقهما.(١٩١) ومن المولدين كذلك عامر بن فهيرة، وفهيرة أمه، هي تصغير فهر وكان عبداً أسود وهو في الأصل من مولّدي الأزد، وكان عبداً للطفيل بن الحارث بن صخرة اشتراه أبو بكر فأعتقه.(١٩٢)

وتكررت في كتب السيرة لفظة "سفهاء" بمعنى سفلة القوم الذين كان يغريهم سادتهم وكبراؤهم في التعرض للرسول الله ﷺ. وربما ينضوي تحت هذه التسمية العبيد الذين كانوا بكثرة في مكة.(١٩٣)

الخلاصة

ومع وجود عدد كبير من الأجانب في مكة إلا أنهم لم يكونوا يؤلفون كياناً مكتملاً ذا أثر إيجابي واسع في مكة، ولم يكونوا سوى أناس اضطرتهم ظروف الحياة للمعيشة في مكة ليقوموا ببعض الحرف. ويبدو أن عدد الأحرار منهم قليل مقارنة بالعبيد إضافة إلى إن تنوّع جنسياتهم وأعراقهم وحالاتهم وظروفهم لم تكن تساعد على تكوين هذا الكيان المكتمل.

---

(١٩١) ابن فهد المكي الفاسي، *إتحاف الورى*، ج. ١، ص ٢١٢، ح. (٣).

(١٩٢) ابن الأثير، *أُسد الغابة*، مج. ٣، ص ٣١؛ ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج. ٢، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ ابن موسى الأنصاري التلمساني، المصدر السابق، ج. ٢، ص ١٢٨؛ السهيلي، *الروض الأُنف*، ج. ١، ص ٤٣٧.

(١٩٣) ابن فهد المكي الفاسي، *إتحاف الورى*، ج. ١، ص ٢١١؛ ابن كثير، *الفصول في سيرة الرسول* ﷺ، ص ٩٩؛ مغلطاي، *الإشارة*، ص ١٤١.

ولم يكن لهم أثر في حياة مكة السياسية كما كان شأن اليهود في يثرب.[١٩٤] وعلى الرغم مما ورد من أن النبي ﷺ قد التقى بعدد من النصارى المقيمين في مكة فهي وقائع محدودة . وهو وجود طارئ ودخيل وليس وجوداً عريقاً أصيلاً. كما أن اليهود والنصارى في مكة لم يحاولوا نشر اليهودية والنصرانية فيها فلذلك لم تضطهدهم قريش ولم تعارض وجودهم في مدينتهم. وربما أيضاً أن قريشاً هادنت النصارى درءاً لإثارة البيزنطيين وإبعاداً لنفوذهم عن مكة حتى لا يدّعوا حق حماية النصارى، أو لا يسبّبوا أي ضرر لتجارة قريش في الشام ومصر والحبشة. ولكن الراجح أن النصارى في مكة لم يتعرضوا صراحة لآلهة ومعبودات القرشيين ولم يعيبوا عبادتها على الرغم من عدم إقرارهم لها.[١٩٥]

---

(١٩٤) أحمد إبراهيم الشريف، *مكة والمدينة*، ص ٢٥٦ ؛ جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج. ٦ ، ص ٥٤٣ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٦١. انظر كذلك: فاروق أحمد السليم، *شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام*، ص ٤١٧ ؛ فضل حسن عباس، *قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن، ورد شبهات*، عمان، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٧ ؛ فكتور سحاب، *إيلاف قريش*، ص ٣٦٧. علّق ابن سعيد الأندلسي على تنصّر ورقة بن نوفل بقوله: إنه فيمن كان على غير دين العرب في الجاهلية. (*نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ج. ١ ، ص ٣٥٢). وهذه العبارة تدلّ على انتشار الوثنية في مكة وعموم شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتدلّ أيضا على عدم مقدرة الأجانب في مكة بالذات في تغيير ديانة قريش.

(١٩٥) حسن خالد، المرجع السابق، ص ٥٤٩ ، ٥٥٥ ؛ فاروق أحمد اسليم، *شعر قريش*، ص ٥٤- ٥٥، ١٤٩ ؛ فتحي أحمد عامر، *في مرآة الشعر الجاهلي، دراسة فنية تحليلية مقارنة*، القاهرة، ١٩٧٦ /١٩٧٧ ، ٣٥- ٣٦. انظر كذلك أحمد إبراهيم الشريف، "الحجاز قبيل ظهور الإسلام"، في كتاب: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ج. ١ ، ص ٣٨ ؛ جورج شحاته قنواتي، المرجع السابق، ص ٥٩ ؛ عواطف أديب سلامة، المرجع السابق، ص ٦٢٦ ؛ محمد حامد الناصر وخولة درويش، *الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام*، ص ٦٨- ٦٩ ؛ محمد حسين هيكل، المرجع السابق، ص ص ٩٨- ١٠٠.

Non Arabs in Makkah in Pre-Islamic Period and Their Religious, Commercial and Social Roles

Hamad M. Bin Seray
Programme of History
Facultyof Humanities & Social Sciences
U. A. E. University

Abstracts. Although Makkah was regarded as ethnically Arab there were foreign races that lived in the city. Makkah had its own commercial and religious importance which encouraged others to come and settle there during the 5th and 6th centuries A.D.

Among these foreigners were many slaves of different races and colors whom were brought from Iraq, Syria, Egypt, Yemen and Ethiopia. These slaves had many different cultural backgrounds.

Slaves served their masters at homes, in agriculture, industry, pasturing and protecting their masters and trading caravans.

In addition to the slaves others came to Makkah such as some Jews and Christians whom came seeking to find the last prophet. Some foreigners had political purposes to come to Makkah in connection with Byzantium or Sassanian Empires.

Makkah had also special female slaves for dancing and singing. Some of these females were prostitution and were known as of red flags. According to foreign religions, there were more Christians than Jews in Makkah. Even so neither of them tried to spread their religions in Makkan society and they tried to live in peace with the pagans.